الطور الاخير

للفيلسوف الفرنسي ، اوغست كونت ، نظرية شهيرة كان لها اثر كبير في تطور الغرب المادي والاجتماعي والفكري خلال المئة سنة الفائتة . وقد عرفت هذه النظرية « بنظرية الاطوار الثلاثة » .

وكان نصيب هذه النظرية في الغرب نصيب كافة النظريات الفعالة : لا تعيش في الداخل الا اذا ماتت في الخارج . فقد فقدت هذه النظرية اليوم من شدتها وبديعيتها ، وتضاءلت مقدرتها على جذب الانتباه واسترعاء الاهتمام ، بعد ان توغلت في ذهن الناس وتمشت في نفسيتهم واحدثت فيهم مع الزمن التفكير عينه الذي نشأت تلك النظرية عند صاحبها عنه ، واصبحت موقفاً فكرياً طبيعياً لهم .

غير انه ، ان كان هذا شأن هذه النظرية مع اهل الغرب ، فشأننا معها يختلف عنه كل الاختلاف . فهي مجهولة عندنا ، ولا يزال نظرنا الى الامور اولياً بالنسبة الى ما تعبر عنه وتدعو اليه . وهذا ما يجعل هذه النظرية جديرة بان تجذب انتباهنا وتسترعي اهتمامنا .

يقول كونت ان البشرية مرت في تطورها الفكري في ثلاثة اطوار .

في الطور الاول ، وهو الطور التيولوجي ، كان البشر يشرحون حوادث الكون ويعللونها بالآلهة . فكان كل حادث فاعله اله قائم ورائه . فالرعد يقصف بفعل ارادة اله الرعد . والمطر يهطل بفعل ارادة اله المطر . والريح تهب لان اله الريح حركها .

ثم انتقلت البشرية من هذا الطور الى الطور الفلسفي ، حيث فقد البشر ايمانهم بالآلهة والارواح ، واخذوا يعللون حوادث الكون بالقوى الكامنة . فالنار تحرق لان فيها قوة كامنة هي قوة الاحراق . والافيون ينوم لان فيه قوة كامنة هي قوة التنويم .

غير ان هذا التعليل ، وان كان اقرب الى الحقيقة من التعليل السابق ، لم يكن اقل منه عمقاً . اذ انه لم يكن سوى نقل ما كان يحسب سبباً من خارج الاشياء الى داخلها وابدال الارواح الحية بقوى خفية تقوم مقامها .

وبقي العقل البشري يتخبط في جموده الفكري حتى بزغ الطور الثالث ، الطور الوضعي . فطرح العقل البشري اذ ذاك التعليل اللاهوتي والتعليل الفلسفي جانباً ، واصبح لا يفهم حادثاً من حوادث الكون الا اذا ربطه بحادث آخر هو سبب مباشر لحدوثه .

وهكذا مر العقل البشري ، تتابعاً من التعليل الوهمي الى التعليل الكلامي ، الى ان بلغ اخيراً التعليل الصحيح ، ذلك التعليل الذي كان باعثاً على التقدم الباهر الذي يميز القرون الاخيرة من تاريخ الغرب وهو تعليل الواقع بالواقع .

ترى في اى طور من هذه الحياة نحن ؟

ان نظرة نلقيها على كيفية معالجتنا للقضايا النفسانية والاخلاقية والاجتماعية والقومية والسياسية تكشف لنا عن الحقيقة المؤلمة .

حقاً لقد حان الوقت ان نهبط من مرتفعات الاوهام ، ونتخلص من زخرفات الكلام ، ونشد حبالنا بالواقع ، الواقع العاري الصريح ، الواقع الذي لا يقوم شيء ثابت متين الا عليه .

تعريف الامة او التعريف بها

بقلم عمر فاخوري

منذ ستة أسابيع والاحاديث الى الشباب تترى من هـذه المحطة ، متصلة مساء كل خميس . ولقد كان الغرض الذي استهدفه المحدثون في مختلف بحوثهم ، ولم يزل ، تعويد الشباب التفكير السليم لاكتناه حقائق الاشياء ، اكثر منه الدعوة والنصيحة والموعظة ، اعتقـاد ان التوجيه الحق للشباب المثقف هو ثمة ، نحو المعرفة الصحيحة والفطنة الرشيدة . ولعمري متى تطرح المسائل كما ينبغي ، وتفهم المشاكل على علاتها وفي حقيقتها ، مع جميع ما يلابسها من حالات ويلازمها من مناسبات ، فقد سلكنا اقرب السبل وآمنها ، بل السبيل الوحيدة الى اجوبتها وحلولها . والا فنحن نتخبط في مكاننا ، دون ان نتقدم خطوة الى الامام . ذلك ان ما يطلب الينا ليس الجواب على مسائل صرف نظرية لاتبنى عليها اية نتيجة عملية ، ولا حـل مشاكل مجردة كالتي يتلهى الاولاد بطارحتها فيما بينهم وهي تراد لذاتها . . لا ، ان مسائلنا ومشاكلنا حيوية ماسة لازمة ، لا مندوحة عن مواجهتها ، كما انه لا مندوحة عن مواجهة الحاجة الى الخبز مثلا . وكما انه يجب ان يوجد الخبز لكفاية الجوع الذي يحسه الانسان ، فكذلك يجب ان يجاب على تلك المسائل ، وان تحل تلك المشاكل ، او بالاقل ان تقترح لهـا الاجوبة والحلول الحسنة الملائمة . ولا تحدعنكم كلمة « الاقتراح » فتقولوا اننا نبقى هكذا في دائرة النظريات المجردة . فكل جواب حسن ملائم لاية مسألة فهمت كما هي ، في حقيقتها وعلى علاتها ، مع جميع ما يلابسهـا من حالات ويلازمها من مناسبات ، يحمل في نفسه اندفاعاً الى التحقيق او قدرة عملية لا شبهة فيها . لكن حذار من الوعاظ المرشدين الناصحين الذين يتوارون وراء ستار كثيف من المفهومات التي لا يفهمونها او المدلولات التي لا تدل على شيء ، والذين يتخلفون خلف اصداء مرجعة من الفاظ طنانة وعبارات رنانة ، فهؤلاء نفر من الخلق لا يواجهون المشاكل ، ولا يوجهون نحو حلها . وهل يسعك ان توجه امرءاً او جماعة ، شطر غاية من الغـايات اذ انت تولي هذه الغاية ظهرك او تسير في الجهة المعاكسة ؟ ام هل يسعك ان تشير الى هدف من الاهداف اذ انت لا تتبينه ولا تعيّنه ، فكيف تصيب المرمى ؟

ذاك اولاً .

وثانياً : ان ادارة هذه المحطة لم يقنعها ان تعمل على توجيه الشباب المثقف في سبيل التفكير الصحيـح ، شطر حقائق الامور فحسب ، بل ارتأت فوق ذلك ان تعودهم التفكير المنظم المطرد الشامل . ان حياة الفرد في المجموع ، وحياة المجموع في العـالم ، وما يثار حولهما من مسائل ، ويعرض لهما من مشاكل ، ان هي الا اجزاء من كل ، عناصر في جسم مركب ، تتمازج وتتفـاعل فيما بينها . فلا مظهر من مظاهر النشاط في ميدان من ميادين الحياة الفردية او العامة ، الا وله اثر او رد فعل في سائر المظـاهر ، في سائر الميادين : اثر او رد فعل لا يبطىء ولا يهمل . وكذلك ايضاً — دون ريب — مظاهر « عدم النشاط » الذي لا يصح ان يطرح من الحساب . .

لهذا ارتأت ادارة المحطة دعوة نفر من اهل الرأي وذوي الاختصاص الى بحث موضوعات عدة ، لكن متفرعة عن موضوع اساسي عام شامل ، شمول الحياة التي لا تعرف التجزئة او القطعية ، والتي لاشيء فيها يضيع ، فلن يضير هذا الشيء اننا اغفلنـاه او اهملناه او عمينا عنه . عسى ان تكون المحاضرات العشر التي سوف يستغرقها الموضوع ، كالفصول المتآلفة في كتاب ، او كالحلقات المفرغة من سلسلة ، فنحمد مغبة هذا النشاط واثره في الميـدان الثقافي ، ثم في سائر الميادين .

الموضوع العام هو : « بناء الامة » . ومن الطبيعي ان يبدأ بتعريف هذا المدلول — او الواقع الراهن — الذي يسمونه الامة ،

(١) ننشر هنا نص المحاضرات الثلاث الاولى من السلسلة التي تذاع من محطة راديو الشرق — بيروت بهذا العنوان ، مساء كل خميس ، واعدين بنشر بقية الاحاديث في اجزائنا المقبلة .

قبل ان يؤتى على تفصيل اطوار حياتها، ومظاهر نشاطها، فلا شيء اوجب لاكتناه الامور وسلامة الاستنتاج، من تعريف صحيح «جامع مانع» كما يقولون في تعريف «التعريف». واكثر الخلافات انما تنشأ عن الاختلاف في فهم الالفاظ التي نستعملها جميعاً، لكن لا ندرك مدلولاتها على صورة واحدة واضحة الخطوط والالوان. فكأن الكلم محرفة عن مواضعها، والمعاني غريبة عن ذاتها. وتبدأ الصعوبة او تعظم، حينما يكلف الذهن عناء الانتقال من المدركات الفردية والحسية الى المدركات الاجتماعية والمعنوية. فليس من العسير على امرء ان يفقه نفسه كشخص مادي منفرد، وان يثبت تصرفاته في دائرتها المباشرة. لكن العسير ان يفقه المرء تلك الذات المعنوية التي نسميها الجماعة او الامة، وان تقوم في ذهنه — اذا قيل له انه عنصر في الجسم المركب — صورة واضحة عن حقيقة هذا الجسم، وعن نوع علاقاته به. والعسير ايضاً ان يتجاوز نظره في اعماله وشؤونه ذلك النطاق الضيق الذي يحسه مباشرة، الى ما هو اوسع فاوسع، كالدائرة التي يحدثها حجر يقذف به في حوض. والى ان يعرف الفرد هذا كله، وان تصير هذه المعرفة شعوراً طوعياً دقيقاً، يحتاج الى ثقافة ورياضة يدعمها ابونا التاريخ. ونحسب ان هذا هو ما يعنونه بالوعي القومي الصحيح.

يسمي علماء الشرع الجماعات المنظمة، كالشعب والامة، والشركات والمؤسسات، اشخاصاً معنوية او تصورية او اعتبارية، بحجة ان العناصر التي تؤلفها، وهم الافراد، لا تربط في ما بينها عرى مادية ملموسة، بل عرى ذهنية غير محسوسة. والواقع ان للاشخاص المعنويين وجوداً راهناً حقيقياً، وان لهم اغراضاً معينة يستهدفونها، ويعملون على بلوغها بواسطة اعضاء او مصالح يناط بها هذا العمل، وهي مهيئة معدة له. فالامة كافرادها كائن طبيعي لازم، وثمة اشياء تنسب الى الجماعة والامة هي بالاصل مما ينسب الى الافراد، فيقال: روح الامة او ثقافتها او نشاطها، كما يقال: روح الفرد او ثقافته او نشاطه.

والان ما هي، بل اؤثر ان اقول: «من» هي الامة؟

الامة جماعة من افراد، يأتمرون لسلطة واحدة ويخضعون لشرائع واحدة، تتألف منهم دولة هي مظهرهم السياسي بين الامم، ويقوم بعبء السلطة فيهم عضو من الجسم المركب يطلق عليه اسم «الحكومة».

ذلك تعريف الامة بعد ان تصير «امة» لا اختلاف فيها، ولا خلاف حولها. اما الامة التي لما توجد تماماً، ويعوزها بعض الشروط القليلة التي ينطوي عليها ذلك التعريف الحقوقي، وهي ما زالت في مستهل حياتها السياسية ووعيها القومي الصحيح، فقد تطالبنا بتعريف آخر يكون اكثر شمولا، وابعد غوراً، يتناول مبادىء الامور واصولها، كما تبدأ القصة من اولها وليس من آخرها..

والذي نراه انا اصح تعريف للامة، للامم على اطلاقها وللامة الناشئة بنوع خاص، هو هذا التعريف الجامع المانع على حد قول المناطقة: «الامة جماعة ثابتة من الناس مؤلفة تاريخياً، ذات لغة مشتركة وارض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد عبارته في الثقافة المشتركة.»

ويضيف صاحب هذا التعريف: «ان كل سمة من السمات التي ذكرناها، لا تكفي لتعريف الامة اذا اخذت على حدتها، بل نذهب الى ابعد من ذلك فنقول: يكفي ان تنعدم سمة واحدة منها كي تنقطع الامة عن كونها امة.»

ومما يسترعي الانتباه في هذا التعريف الذي اعتمدناه ان لا اشارة فيه، ادنى اشارة، الى تلك السمة العلمية الكاذبة التي يسميها النازي «وحدة الدم او العرق» جاعلين منها اساس بناء الامة. فقد اثبت العلم بطلان هذه النظرية العرقية التي تدعي للعلم كذباً او خديعة او لجر مغنم، على نحو ما كان يدعي مولى من الموالي لاحدى قبائل العرب، فيهجيه بذلك الشعراء ويعيبون عليه نسبته المكذوبة. وليس في العالم اليوم امة متمدنة او معروفة يصح ان تزعم لنفسها وحدة الدم والعرق، او صفاءهما، كما انه من الضلال الاعتقاد بامكان التوصل الى شيء من هذا، بضرب او بضروب من الانتخاب الصناعي المنظم، يحاول به عجن المادة الانسانية الحية، على ما يزين الهوى ويصور الوهم.

ولعل الالمان انفسهم من ابعد الشعوب الاوربية عن وحدة العرق المزعومة وصفاء الدم المكذوب. لنأخذ مثلا البروسيين الذين يدعون تجسد المزايا الالمانية فيهم على وجهها الاكمل، فماذا نرى؟

يقول التاريخ انهم كانوا يعرفون، في عهدهم البدائي، بالبوروسيين، وانه لم يكن، عهد ذاك، ما يربط بينهم وبين سكان المانيا الآخرين، حتى لقد كانت لهم لغة خاصة تختلف عن سائر اللهجات الجرمانية، عفي على آثارها منذ ثلاثة قرون، لا اكثر. وبين هذه اللهجة البوروسية واللغة اللتوانية التي يتكلمون بها اليوم في لتوانيا وفيلنو وغردنو قرابة لا تنكر.

الدولة ومقوماتها

بقلم الدكتور ادمون رباط
الاستاذ في معهد الحقوق الفرنسي ببيروت

لقد اصبح العالم في عهدنا الحاضر مقسما الى دول ذات صيغة عصرية تشترك فيها الشعوب كافة ، على اختلاف اجناسها وثقافتها ودرجة تطورها الاجتماعي ، ويخضع كل فرد وكل مجتمع خضوعاً تاماً لدولة معينة . وهذا ضروري لسيرهما في مضمار الحياة ،في سائر ميادينها، حتى ان الحياة الاجتماعية ليست الآن بممكنة اذا لم تتوسطها دولة منظمة .

ومن الامور الدقيقة التي طالما اثارت الجدل وشغلت علماء الشرع الدولي معرفة كنه الدولة وضبط معانيها ، على ان الاتفاق تم اليوم على ان الدولة جماعة انسانية منظمة ذات سيادة سياسية تتمتع بارض محددة : جماعة ، فسيادة ، فارض ، تلك هي اذن العناصر الثلاثة التي تتكون منها الدولة بمعناها الحديث .

والشيء الذي يضيف الى الجماعة هذا الشكل السياسي هو الرابطة الروحية التي تصل الاجيال الحاضرة بالاجيال الغابرة ، اتصالا عاطفياً ، وتضم اجزاء الشعب المبعثرة البعيدة بعضها الى بعض في بوتقة واحدة ، فتجعل من الشركاء في التاريخ والتربة والمصالح والمثل العليا ، امة قومية واحدة لها شخصية اجتماعية تميزها عن غيرها من الامم ، فتثبت وجودها بدلائل نفسية واعمال مشتركة تعزى اليها ، ولا تستطيع الشعوب الاخرى انتحالها .

وهذه الامة ترتبط بمكان معروف فرضته عليها الطبيعة ، فعاش فيه ماضيها واندمجت بترابه عظام موتاها . فالامة جسم وروح وارض ، واذا فقدت الامة الارض فقدت بيئتها ، وتحولت الى قبائل وشعوب رحل ، لا يكتنفها سماء ولا يصورها جو واقليم . واذا كان ثمة شعوب ترتجي الحياة القومية فهي مضطرة كي تكون امة قومية بالهذا التعبير من المعنى العلمي ، ان تجد لها بيئة خاصة بها . ذلك لان البشر نتاج مجتمع وتربة على حد سواء . فالدولة اذن بحكم الامة التي تنبثق منها لا تتشكل الا اذا كانت لها ارض تسودها .

والسيادة عنصر لا بد منه لتكوين الامة . فمن مقتضيات

وليس بضائر الامة الفرنسية انها تألفت ، على ممر الاجيال، من عشرين عنصراً صهرت جميعاً في بوتقة التاريخ — التاريخ بمحنه والمجاده ، بانكساراته وانتصاراته . وكان من هذا التاريخ نفسه عام ١٧٨٩ الوضاح الذي استهل عهداً جديداً في حياة العالم .

لا مندوحة اذن من ان ندع جانباً في تحديد الامة والتعريف بسماتها مقاييس العلوم الطبيعية والبيولوجية، بله تلك « اليوجنية » التي تستهدف تحسين السلالات الحيوانية ويزعمون ان في طوقها ايضا ترقية الاعراق البشرية وتصفية الدم الانساني .. ولنعتمد في تعريفنا العوامل الاجتماعية ، الجغرافية والتاريخية ، رغم ان كل واحد منها يحتاج الى بحث منفرد لا يتسع له المقام .

الامة جماعة ثابتة من الناس . ليست خليطاً عرضياً يدعي وحدة عرق مكذوبة او صفاء دم مزعوم . تألفت بعوامل من التاريخ وليس بعوامل متكلفة من الانتخاب الصناعي . ذات لغة مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وارض مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد عبارته في الثقافة المشتركة .

ولهذه الجماعة من الناس التي تسمى « الامة » وجود حي راهن هو وجود الافراد الذين تتألف منهم .. وزيادة . وهذه الزيادة هي التي تجعل من مجموع افراد الامة كياناً متميزاً عن كيان كل فرد منهم . وهي تحيا حياتها الخاصة وتستهدف اغراضاً معينة، فتعمل على بلوغها بواسطة من يناط بهم ذلك في داخلها وبين سائر الامم .

وعلى محور هذا النشاط في مختلف مظاهره ونواحيه تدور الاحاديث العشرة التي تسمعونها من هذه المحطة .

عمر فاخوري

الحياة القومية ان تشعر الامة بضرورة تحررها ، وذلك ان تتصرف بشؤونها وان تملك مصيرها لتقوم بقسطها من الواجب الدولي نحو الانسانية التي تشترك الامم جميعاً في تقدمها وتأخرها .

ولكن سيادة الدولة ليست مطلقة . فهي تخضع لقوانين بعضها داخلي دستوري، وبعضها دولي عالمي . وبخلاف دول العهود القديمة فان الدولة العصرية منظمة قانونية ينشئها القانون ، فيحفظها من التعدي ، ويرتب اعمالها وسيرها في الحياة . والاصح ان يستعاض اليوم عما يسمى الاستقلال (وقد زال في الواقع بين الامم المتضامنة المرتبط بعضها ببعض) بتعبير آخر هو السيادة التي تطلق للدولة الحرية السياسية وتحظر عليها الاضرار بالغير من دول وافراد ، والكل خاضع لحق دولي قائم على المساواة والعدل ، لا على المصلحة والتوسع .

والدولة فكرة ، لا مادة تقع عليها العين المجردة، ووجودها يتحقق بوعي اعضائها والذين يتصلون بها ، وفي الاعمال التي انشئت هي من اجلها . اما فاعليتها فمنوطة برجال يعينهم القانون ويرتب درجاتهم وينعتون بالحكام والموظفين ، ومن مجموعهم تتكون الحكومة وادارتها .

اما السلطة فقد كانت في البدء واحدة مجملة تنحصر في فرد او جماعة تتصرف بالحكم تصرف المالك بملكه ، لا تعرف دستوراً ولا قانوناً ، لا رادع لها الا ما فرضه الدين عليها من واجبات سماوية ، والطبيعة من عدل وشفقة . لكن مع الزمن وتطور الافكار انجلت شخصية الفرد في المجتمع ، فتنظمت السلطة وانقسمت عملياً الى سلطات متمايزة، كل منها تقوم بما يوصل الى هدفها الاساسي .

وهكذا انفصلت السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية في جميع الممالك الحديثة الخاضعة لدستور .

اما السلطة التشريعية فهدفها الاوحد وضع القانون وتنقيحه او الغاؤه وفقاً لحاجات المجتمع حتى يظهر الدوام جامعاً شاملا للجميع على السواء، لا لغاية شخصية له بل هدفه المحافظة على المصلحة العامة وعلى سلامة الدولة .

واما السلطة التنفيذية فهي السلطة المنفذة للقانون والساهرة على تحقيقه باسم المجتمع، تحميه من العبث والفساد ، وتصونه من التعدي والاهمال حتى ان باستطاعتنا القول ان السلطة التنفيذية هي القانون العملي بالذات . وهي تنقسم بدورها الى سلطة منفذة وسلطة قضائية : الاولى تمثل الادارة ، وتقضي الثانية بين الافراد او بين الافراد والدولة في منازعاتهم جميعاً من شخصية وعامة ، ومن مدنية وجزائية . واذا كان لا يستتب النظام الا بخضوع المرؤوس لرئيسه في الادارة ، فالعدل لا يستقر الا بخضوع القضاء للقانون وحده بعيداً عن المؤثرات كافة .

ومما يجدر بالذكر ان مبدأ فصل السلطات بعضها عن بعض لم تبتكره اوربا وحدها . فالاسلام قد عرفه ، وقد استقل فيه القضاء عن كل سلطة حكومية ، وتعالى التشريع فيه عن مشيئة الخلفاء وعمالها حتى فيما جاء به العلماء والفقهاء من ترتيب وتفسير .

ولكن هذا المبدأ قد ينحني في الازمات الدولية او الداخلية امام ما تتطلبه سلامة الدولة من ثبات وطمأنينة، وقد توحد السلطات موقتاً في يد شخص او هيئة ، لتكون وسيلة لحفظ الامن وللدفاع عن الامة . على انه سرعان ما يزول هذا الوضع الشاذ عند زوال الخطر فينبعث الدستور من جديد ناشراً احكامه على الجميع .

ومن اعسر مسائل الشرع الدولي تلك الصعوبة الناشئة عن ضرورة التوفيق في الاوقات العصيبة بين الدستور ومصلحة الكيان العام .

وقد لا نجد طريقة لحل تلك الصعوبة في النصوص والسوابق، لانها تحتاج الى ثقة وتضحية اكثر مما تحتاج الى قانون ونظام . والدولة ملك الامة ، وهي مشاعة بين افرادها فيها وحدها يحيون حياة راقية منظمة ، وبسياستها تضمن حقوقهم ومصالحهم . فالدولة اذن لا تدوم الا اذا بقيت متصلة بالامة اتصالا وثيقاً تحملها على العمل روح واحدة ، وتستهدف غرضاً واحداً . واذا انعدمت الرابطة بين الامة والدولة فقدت الامة شكلها الرسمي ، واضاعت الدولة الروح العاملة فيها ، فتضحى الدولة جسما بلا حياة ، والامة روحاً بلا جسم . فاذا وقعت الكارثة انهار الهيكل الفارغ وامسى في خبر كان .

ادمون رباط

بناء الامة (٣)

الاحزاب

بقلم تقي الدين الصلح

◆

النشاط السياسي ، او اشتراك الفرد ، تفكيراً وعملاً ، في ادارة بلاده ، اشتراكاً مباشراً او غير مباشر ، حق لم يتمتع به الناس الا في عهود قليلة من التاريخ ، والا في بلاد معينة . فقد كان الاغريق ، مثلاً ، في ماضيهم السحيق ، يجتمعون في ملاعبهم ، ويتباحثون ويتناقشون في شؤون سياستهم وحروبهم وسائر احوالهم . وكان العرب في بدء دولتهم ، يجادلون الخليفة ويناقشونه ، في منزله او في الجامع ، في الشؤون العامة .

ولكن في اكثر البلدان ، ومعظم ايام الزمان ، كان هذا الحق مقصوراً على الملوك والامراء ، واصحاب السلطان ، او وقفاً على طبقات معينة من اهل القوة والسطوة ، روحية كانت ام مادية .

وقد قلبت المدنية الحديثة هذه الحال ، فكان من نتائج انتشار المعرفة ان ارتفعت قيمة الفرد وعاد اليه الحق في ادارة شؤون بلاده ، او هو استعاده لنفسه . ان الانسان الذي اصبح يقرأ في الصحف كل صباح وكل مساء ، ويسمع بالراديو كل ساعة ، انباء بلده واخبار بلاد الاخرين ، ويرافق بهذه الواسطة سير الحياة ، من جميع نواحيها ، يوماً فيوماً ، ويماشيها خطوة فخطوة ، ويدرك الى حد كبير ، ان حياته كلها ، مرتبطة اوثق الارتباط بحياة الاخرين ، وان مصيره متوقف على مصيرهم ، بعدوا ام قربوا ، أصبح يشعر انه شريك طبيعي في المجتمع ، وان عليه لهذا المجتمع واجباً يؤديه ، وله فيه حقاً يقتضيه .

ولكن اشتراك كل فرد بذاته ، في ادارة المجتمع الذي هو منه وفيه ، ليس امراً ميسوراً ، اذا كان هذا المجتمع شعباً يعد بالالوف والملايين . ومن هنا نشأت قاعدة النيابة السياسية ، فأصبح الناس يحكمون انفسهم بواسطة نواب ينتخبونهم ، ووكلاء يعتمدونهم ، لمدة معينة ، وعلى اساس من التفاهم في الرأي ، والتشاكل في الشعور والتفكير ، والاتفاق والتعاهد على الغاية والواسطة .

وليست الاحزاب في المجتمع ، الا حلقة من سلسلة اشراك الفرد في ادارة بلاده ، وحكم الشعب نفسه بنفسه . ففي كل منها يتجمع المتشابهون في الشعور والتفكير ، القاصدون الى غاية واحدة عن طريق واحدة . وفي الحزب ينظمون قواهم ، ويوزعون جهودهم ، ويحكمون تصريف نشاطهم ، لينشروا الدعوة الى عقيدتهم . وآرائهم ، وليستكثروا لها في الشعب الانصار ، ويرتفعوا بها الى ندوة النيابة . فمن كانت له الكثرة فيها ، تربع في دست الاحكام ، وأدار البلاد على مبادئه وسياسته . ومن لم تكن له الا القلة لم يعدم التأثير ، في سياسة البلاد ، عن طريق المعارضة النزيهة ، للحزب الحاكم .

وبواسطة الاحزاب يشترك الافراد ، مئات بل الوفاً وملايين ، اشتراكاً مستمراً ، غير مباشر في ادارة شؤون البلاد . ففيها يتصلون اتصالاً مستمراً مباشراً بممثلي الامة في المجالس النيابية وفي الحكومة ، وفيها يناقشونهم ، ويحاسبونهم ، ويوجهونهم ، ويسددون خطاهم . وفيها كذلك يجري الانتقاء الشعبي الخاص ، الاولي ، اذ يختار اعضاء الحزب ، البارزين منهم ، الصالحين للنيابة ويقدمونهم للاختيار النهائي ، اي للانتخاب الشعبي العام .

فاذا اردنا بعد هذا ان نعد الدرجات ، التي هي ، في سلم حكم الشعب نفسه بنفسه ، استطعنا ان نقول : انها اربع هي ، من ادنى الى اعلى : الجمهور ، ثم الاحزاب ، ثم المجالس النيابية ، ثم الحكومة نفسها ، او الهيئة التنفيذية الاخيرة .

ولا بد للحزب ، من ثلاثة اركان يقوم عليها ، ولا بد من ان تكون هذه الاركان الثلاثة مجتمعة بحيث يفسد فقدان واحد منها الركنين الاخرين ، ويعطلها تعطيلاً ، كما يعطل فكرة انشاء الاحزاب ، من حيث هي سبيل للنفع العام .

*

لا بد للحزب من عقيدة ، فهي ركنه الاول وهي له كالروح للجسد . لا بد له من « قانون ايمان » كما يقولون ، يحتل من النفوس ارفع مكان ويرتفع بالنفوس الى اعلى مكان . عقيدة مؤسسة على الحقيقة والجمال والخير يجب ان يرمي الحزب الى خدمة مصلحة الامة العليا ، والى ما فيه تقدمها ، ضمن نطاق الانسانية العام ، وارتقاؤها نحو الحالة المثلى ، التي يصورها اصحاب العقول السليمة ، والنفوس الفاضلة . عقيدة خالصة من شوائب الشهوة والهوى والخوف ، والرجعية وما اليها ، من مظاهر الضعف ، اياً كانت مصادر هذه الاشياء واسبابها . وليس تفرض العقيدة ان تكون للحزب مبادىء ومناهج جامدة لا تتكيف ولا تتعدل ، بحسب مقتضيات الزمان وسير الايام . فان ذلك ليقضي على الحزب بالجمود ثم الفناء . ولكن الذي يجب ان لا يتبدل انما هو جوهر العقيدة .

*

ولا بد للحزب من نظام يتمشى عليه ويتقيد به افراده . فهو ركنه الثاني .

ان الجماعة في حالة فقدان التنظيم ، كالنهر الذي ترك على طبيعته يطغى

مرة فيزيد ، ويطغى مرة فيزيد ، فيخرب الزرع ويغرق الناس ، ويقصر احياناً فتموت الارض ويفنى اهلها .

ولكن النهر اذا تناولته ايدي المهندسين ، اخضعته لمصلحة النـاس . يروون اراضيهم ما شاؤوا وحـين شاؤوا ، يثيرون من قواه يوتهم ويديرون دواليب مصانعهم .

ان الحزب بدون نظام يحدد لكل عضو فيه حقه وواجبـه ، ويعين لكل منتسب اليه عمله ومهمته، مقضي عليه بالشلل ، ومحكوم عليه بالفشل. والنظام ليس هذا فحسب ، بل هو جامع للقوة الموزعة ، ضابط للاهواء ، وحام للعقيدة من نزوات الاهواء. النظام حدود تقيد حرية فرد لتحمي حرية بقية الافراد ومصالحهم . النظام توزيع للقوى المتجمعة ، التوزيع الذي تقتضيه المنفعة . بل النظام هو الذي يمكن الحزب من استخراج مئة بالمئة من القوى الكامنة في افراده ، وفي افراد الشعب . وكم من فئـة قليلة غلبت فئة كثيرة ، باذن الله ، وبفعل النظام المحكم .

*

ولا بد للحزب من النشاط ، وهو الركن الثالث في بنائه . وما قوة صالحة ، ونظام محكم ، اذا لم يكن مقروناً اليها الفعـل والنشاط . ان الحزب مفروض فيه ان يبشر بعقيدته ومبادئه وان يستكـثر انصاره واعضاءه ، وكيف ينتشر وكيف يتكاثر ، اذا لم ينشط اعضاؤه للدعوة ؟ وكيف ينفع الحزب الناس اذا لم يخرج من حيز الفكر الى حيز الاعمال؟ ان الدفاع عن العقيدة والتبشير بالعقيدة ، والعمل بالعقيدة ، تقضي ان تتحرك في الحزب كل قوى اعضائه بعد تنظيمها وان تسخر لذلك كل وسيلة من وسائل الكفاح الشعبي .

ان هذه الاركان الثلاثة ، لا يستغنى بعضها عن بعض ، وفقدان واحدة منها ، يعطلها كلها ، كما يعطل السيارة نفاد الزيت ، او غياب السائق .

*

سبقتنا امم الغرب ، في العصور الحديثة ، بالحياة الحزبية . ففي كل بلد في اميركا واوربا احزاب سياسية منظمة ينصب فيها النشاط الشعبي، وتعمل في تسيير ادارة المجتمع الذي نشأت فيه .

ولقد وصلت الاحزاب هناك ، بعد تطورها خلال سنين طوال ، الى درجة من الرقي ، يجدر بنا نحن الشرقيين ، ان نلتفت اليها بعناية لنستفيد

في الغرب ، لا تقوم الاحزاب لخدمة مصلحة شخص او اشخاص ، بل تقوم لخدمة مصلحة المجموع . وفي الغرب لا يتجمع ابناء كل طائفة من الطوائف الدينية في حزب مستقل عن الطوائف الاخرى .

وفي الغرب ، لا يتجمع ابناء طبقة واحدة ، او طـائفة واحدة ، في حزب واحد . بل نرى في الكثير من احزابهم ، الفقير الى جانب الغني ، والعامل الى جانب صاحب المعمل ، وصاحب الجـاه التليد الى جانب ذي الجاه الطريف .

وفي الغرب ، يتقيد العضو بنظـام الحزب ، فلا يشذ عما يقرر ، ولا يهمل ما يفرض عليه ، ولا يتمرد ولا ينسحب كلما اتخذ الحزب قرارا لا يوافق رأي العضو .

وفي الغرب ، الولاء للحزب جزء من العقيدة ، فلا يخرج العضو من الحزب اذا آنس منه ضعفاً ، ولا يسرع اليه مهرولا اذا ما آنس فيـه قوة ورواجاً .

والحزب في الغرب ، لا يقوم لمناسبة ويمحي ولغير مناسبة .

ولقد بلغت حالة الاحزاب من الرقي ، درجة جعلتها في الامم الغربية ضرورة لا غنى عنها ، كضرورة الحكومة نفسها . بل جعلت احزاب المعارضة ضرورة كذلك ، يؤدي فقدانها الى شيء من الاختلال في سير الحياة السياسة العامة . وخصت المعارضة بشيء من الامتيازات فيتناول رئيسها في المجالس النيابية مرتباً ، ويمنح في دوائرها مكتباً ، ويستشار في الازمات ، كما يستشار زعماء الكثرة .

وليس يمنع اختلاف النظم بين الاحزاب ان يتفقوا في بعض النواحي السياسية ، فيؤدوا مثلا وجهة نظر واحدة في مسألة من مسائل السياسة الخارجية ، وليس يمنع كذلك ان يتصادق افرادها ويتعـاونوا في غير السياسة ، بل يتعاونوا حتى في السياسة عند اللزوم. ألم نر كيف ان ونديل ولكي يقوم بمهمة يندبه لها روزفلت ، وهما المتنافسان امس على رئاسة الجمهورية ، والرئيسان لحزبين مختلفين متزاحمين دائماً . كما رأينـا الاحزاب يتنازلون في الازمات الخطيرة التي يتعلق عليها مصير الامة عن اختلافاتهم، فيتحدون امـام المصلحة حزباً واحدا، او كالحزب الواحد .

ومن المؤسف ان لا يكون النشاط الشعبي السياسي في الشرق ، قـد بلغ من النضوج بوجه الاجمال ، الدرجة التي تمكنه من خدمة امه الخدمة الصحيحة ، والسير بها الى المرتبة التي ينشدها المخلصون .

ففي هـذا البلد ، مثلا ، من بلدان الشرق ، تنشأ الاحزاب السياسية لخدمة فرد او افراد . وتتخذ اسم هذا الفرد اسماً لها . ونحن لا نتحرج ابدا ان نقول حزب زيد ، وحزب عمرو . ولكن الاميركي يضحك اذا سمعنا نقول حزب روزفلت او حزب ولكي .

وفي ذاك البلد، من بلدان الشرق ، تنشأ الاحزاب لحادث من الحوادث ، فتتسمى باسمه ، وتستمر بعد انتهائه . ونحن لا نستغرب تسمية حزب كبير مثلا ، بحزب « المفاوض » لانه ولد في اثناء مفاوضات ، وتسمية آخر حزب الاجتماع ، لانه اسس في اجتماع عقده مؤسسوه.

وفي بلد آخر ، يتفق بعض الزعماء في السياسة اتفاقاً مطلقاً ، فيؤلفون حزبا واحدا ، ثم يختلفون على التفاصيل او الامزجة ، فيلد هذا الحزب كل يوم حزبا ، اي كلما خرج منه زعيم .

ويجتمع رجال ، لخدمـة وطنهم ، فيسمون انفسهم جبهة ، بدلا من حزب ، تهربا من قيود الارتباط الوثيق ، وهم بذلك يشبهون الرجل الذي يتهرب من لبس القبعة المنشأة في السهرة خوف تضييقها على عنقه .

ان الاحزاب في الشرق غير قليلة ، ولكن قل منها ما توفر فيـه العناصر الثلاثة التي اوردنا ذكرها ، كار كان ضرورية متلازمة للحزب الذي تستفيد منه الامة . فانت ترى حزبا توفرت فيه العقيدة والنظام ، ولكن اعوزه النشاط . وترى آخر نشيطاً منظماً ولكن العقيدة فيه غير صحيحة ، ومن الاحزاب ما ليس فيه غير عنصر واحد من هذه الثلاثة .

ان امتنا ، في حاجة الى نشـاط شعبي منظم ، يرتفع فيه البناء من ادنى الى اعلى . ومن اولى بهـذه المهمة من الشباب الذي سلمت عقيدته ، وعرف فعل النظام ، على ضوء ما يشاهده في الغرب ؟

ولكن ، متى يعي هذا الشباب من غفلته ، فينشط الى اداء هـذا الواجب ، واجب تنظيم الامة تنظيما سياسياً شعبياً ، على اساس من العقيدة القومية السليمة ؟

تقي الدين الصلح

القصيدة السوداء

●

اشتهرت هذه القصيدة ، بين اصدقاء الاستاذ نخله بهذا الاسم فابقيناه لها . وقد أهديت يوم نظمت الى معالي منير بك العباس وزير الاشغال العامة السورية .

« الاديب »

لا تعجَل فالَّيل أندى وابردْ   يابياض الصباح، والحسن اسودْ !

ليلتي ليلتـان ، في الحَلَك الرّط   ب ،فجنح مضى وجنح كأنقد..

وكأني على الغصون ، من اللّي   ن وهزّ الثمار ، مـا تتـأوّد

في النسيم العبيق ، في النفَس الحلـ   و ،فيـا طيب مسكةٍ تتنهّد !

ستِ : نحن العبيد، في مجدك الأسـ   ود ، اهل البياض ، نشقى ونسعد

من حوالي فرقيك، في مسحة الطرّ   ةِ ، شيٌ كأنه يتوعـد

وعلى مسقط القميص ، الى الخصـ   رِ ، وعند انفلاته جهد مُجهد

يشهد اللين والملاسة والزّلـ   ق ، باني في غير مـا متوسّد

الف غصن ، في الف هزة غصن   وقيـام مع الغصون ومقعـد

كان اولى لو كنت آخذ بالخصـ   ر ، ولكن يكاد بالكف يعقد !

سلم الخصر ، فهو ينحط بالحمـ   ل ويناّد حيثما يتأيّد

طوّلي ، ليلتي ، على المرمر الرخـ   صِ ، وفي اللمح من سواد الزبرجد

وازلي الآبنوس ، في موسم العو   د ، علي مترع المناعم ارغـد

مهرجانٌ لنـا ، ونهزة سعـد ،   تحت ستر الدجى ، وزاد مزوّد..

امين نخله

ميشال معلوف

بقلم الياس ابو شبكة

لاربع سنوات خلت خاطبني صوت في الهاتف قائلا : « وهذا المساء يصل الاستاذ ميشال بك معلوف رئيس « العصبة الاندلسية » من البرازيل وقد تألف وفد من رجال الادب والصحافة لاستقباله في المرفأ فوافنا الى هناك . »

على ان مشاغلي في جريدة « صوت الاحرار » كانت كثيرة في ذلك العهد فما فرغت منها حتى ركبت السيارة الى بيتي في الزوق ، وما تذكرت واجبي الا وقد اجتازت بي السيارة نصف الطريق . وبعد أيام بصرت في الشارع برجل حادق السمرة جذابها ، بدين عريض الكتفين ، يطيل النظر الى ما حوله كأنه يفتش عن شيء . فقلت في نفسي : « ما أشبه هذا الرجل بشفيق معلوف .. أيكون خاله ميشال ؟ » وفي اليوم التالي رأيته في الطريق ماشياً الى جنب الشاعر قيصر بك معلوف فما بقي في نفسي مقيض للشك في انه رئيس العصبة الاندلسية .

وما عتم الامر ان زار قيصر وأخوه جريدة « صوت الاحرار » ولما لم يجداني أبقيالي بطاقة على مكتبي . ولا اذكر أين اجتمعت بعدئذ بميشال معلوف لحظة من الزمن . على ان هذه اللحظة كانت كافية لتوثيق رابطة المحبة بيننا ، فهذه الرابطة التي صاغها شفيق ما برحت تنمو وتمتد حتى شملت كل معلوفي اديب من مغترب ومقيم . وكل معلوفي أديب ، ان لم يكن بقلمه فبروحه .

ومرّت ثلاث سنوات تزوج خلالها مثالا من روحه وخلقه وراح يطوف البلاد جبالها وسفوحها ، سعيداً مغبوطاً كما يتمنى الاديب .

وفي مستهل الشتاء المنصرم سكن بلادي مع صهره الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وبقي فيها الى اواخر الربيع .

في الجهة الجنوبية من الزوق ، على مشرف وادع من الارض تتخلله الصخور ويحيط به من الطبيعة اروع اطار ، تقوم جملة بيوت متباعدة ، في الطرف الجنوبي منها بيت كان في الماضي السحيق لاستاذي الشاعر المطرب الطروب الفارس ابي رحمون ، عليه رحمة الله . في هذا البيت المطل على اخصب بقعة في كسروان وعلى اجمل شاطيء من هذا الابيض الكريم زرت ميشال معلوف للمرة الاولى فابتدرني بقوله : « لم تجيء الينا فجئنا اليك . »

وفي اثناء الحديث قلت له : « سنقوم غداً بجولات شعرية في هذه البقاع الساحرة فنزور الاكمات السبع وننحدر منها الى الخليج فالى الشاطيء . ونزور الوادي المهيب حيث يرقد ابو رحمون ، وهذه الهضبة التي تراها من هنا ، فهي تشرف على اجمل ريف ساحلي مهرته الطبيعة للبنان . » فقال : « ان شاء الله ! » وصمت .. ولم ادر اية سحابة من الالم العميق شاعت ساعتئذ على جملة وجهه .

وزرته بعد يومين فألفيته في جمع من الزوّار يصغي ولا يتكلم الا في النادر القليل فقلت له : « هلمَّ بنا نخرج من هذا الوكر ، فالمساء دافيء والساعة جميلة . » وكان الى جنبي طبيب من أقربائه فهمس في أذني قائلاً : « لا ينبغي له ان يخرج من البيت قبل أيام فهو في حاجة قصوى الى الراحة ، وكل مرتقى يصعده وان يكن طفيفاً يسيء الى صحته . » وكأنه أدرك ما فاه به الطبيب فقال لي : « أمرنا لله . ولكنها أزمة عارضة بعونه . فالاطباء يقولون ان بي تضخماً في القلب ، على أن حالتي ليست خطرة وقد يزول الداء بالراحة . »

وصرت أتردد عليه فيقبل عليَّ احياناً من غرفته ويلزمها أحيانا أخرى فأبقى مع صهره العالم منجب الشعراء يحدثني عن تاريخ الأسر الشرقية وعن أسماء القرى اللبنانية ومصادرها أو عن بطولة الروس واعجابه العظيم

بتاريخ روسيا وادبائها وعباقرتها . وحين يُفرغ جانباً من مخزون دماغه الذي لا ينضب أعود الى بيتي وبي غصّة وألم عميق !

وفي أحد الايام دخلت عليه الى غرفته فألفيته أشد ما يكون انقباضاً ولمحت على وجهه سحابة من اليأس حاول أن يخفيها بابتسامة تكمشت على أديمه . وبدا لي أنه زاد هزالاً فقلت له : « وجهك اليوم مشرق والعافية تستنشق في عينيك .. »
فقال : « أما الاطباء فقد اختلفوا في أمري ، فمنهم من يقول ان بي تضخماً في القلب ومنهم من يقول في الرئة .. »
ثم تناول من تحت وسادته وريقة وقال لي : « كتبت أمس هذه الابيات فخذها ... » وكأنه أراد أن يقول : هذه قصيدة الوداع ! ... »

جنيت عليك يا قلبي ... ولم تنفع بك الشكوى
فكم قاسيت في جنبي ... وكم حاقت بك البلوى
وكم خدعتك آمال ... وكم اشقاك من تهوى
بلى قد جرت يا قلبي ... عليك فصرت لا تقوى
سجينا بين اضلاعي ... قضيت العمر مضطربا
تشد عليك اطماعي ... وتشطرك النوى اربا
وكنت كطائر غرد ... تحول شدوه شجوا
ومرت بي من الذكرى ... سحابات مضيئات
على جنباتها تترى ... ابتسامات ودمعات
فاطبق جفني الطرفا ... وعاد القلب للنجوى
بعاد عنك يا وطني ... به ذل وحرمان
وقرب فيك يوجعني ... ففيه الذل الوان
كرامات مضيعة ... واقداس غدت لهوا
بلى قد جرت ياقلبي ... عليك فصرت لا تقوى

وهذه الابيات التي يغلب فيها الالم المكبوت تعيد الى الذاكرة آخر ما نظمه ولي الدين يكن الذي مات بالداء نفسه وفي السن نفسها :

يا جسداً قد ذاب حتى امّحى ... الا قليلا عالقا بالشقاء
اعانك الله بصبر على ... ما ستعاني من قليل البقاء

ومرت الايام سوداء كلياليه ، وهو قابع في غرفته ، بل في فراشه ، لا يلقى من جمال الحياة الا ابتسامات حنو واخلاص تلقمه اياها عروسه الوفية وشقيقته الثاكل ، كأن لم يكفها شر المصيبة بفوزي !

وفي اواخر الربيع غادر ميشال معلوف بيته في الزوق لاليقوم بجولة شعرية في البقاع الساحرة فيزور الاكمات السبع وينحدر منها الى الخليج فالى الشاطيء ، ويزور الوادي المهيب حيث ينام ابو رحمون ، بل ليرقد رقدته الاخيرة في التربة التي تغنى بها في سحرة شبابه وخصها بعدئذ بندى قلبه ويده .

الياس ابو شبكة

الشعر الرمزي

بقلم الدكتور نقولا فياض

◆

كان بودلير ابعد رأياً من سانت بف واوسع احلاماً فالطبيعة في عرفه حظية ابيح حماها الوفاً من المرات فمن الواجب اقصاؤها عن الفن والالتجاء الى الخيال والصناعة والغرابة، والغوص على الجديد في اعماق المجهول كما يقول في قصيدته « الموت ». ولهذا عمد الى كل ما فيه انحطاط وذبول وشهوة جاعلاً من النهار الزائل والخريف الذابل والموسيقى الفاترة والبنات المتبرجات السكارى والحشيش والخمرة والافيون، معيناً لنفسه الظمآنة، لان عالم الاسقام هو البقعة العذراء التي لم تعرف بعد جولة للفن فيها. وهو يعتقد ان الاحساس في بعض حالات السقم يفتح للشاعر وراء عالم المادة ابواب عالم غير منظور فيشعر بصلات خفية تربط الاشياء بعضها ببعض وهذا معنى قصيدته المشهورة التي يمكن ان تعتبر كأول بيان للرمزية :

الطبيعة هيكل فيه اعمدة حية تخرج احياناً كلاماً مبهماً فيمر المرء فيها خلال غابات من الرموز تتطلع اليه بنظرات مألوفة وتتجاوب الالوان والعطور والاصوات كما تلتقي الاصداء من بعيد في وحدة مظلمة عميقة كالليل وكالضياء .

على ان بودلير كان بطيء الاثر في اوله ، فقد عاصر عصبة البارناس وصادقهم وان لم يندمج فيهم . وعندما ظهرت « ازهار الشر » للمرة الاولى سنة ٥٧ اثارت في الناس دهشاً عظيماً ولاقت من الاستهجان ما حمل الحكومة الامبراطورية على الحكم على مؤلفها، وكان من جراء هذا الحكم ان هب البعض محتجاً ومدافعاً وفي سبيل هذا الدفاع عادوا الى درس بودلير وتفهمه فبدت ازهار الشر للقراء حينئذ على ضوء جديد واذا بهيكو يعلن ما كان يفتكر به الكثيرون من ان المؤلف قد كشف القناع عن « رعشة جديدة » .

هذه « الرعشة » هي ما كان يشعر به بودلير منذ خمسة عشر سنة وموضوعات « ازهار الشر » من الم وشقاء وحب واثم وشهوة وسخط وخمرة وافيون مرآة لشتى حالاته الفكرية وقد اجاد التعبير عنها في صور تجمع بين العطور والموسيقى والالوان فتأخذ دون عناء سبيلا الى نفس القارىء .

وهكذا مرت سنوات على الكتاب قبل ان يفتح لصاحبه طريق الشهرة . فقرظه دليل وسانت بف وغوتيه ، وادرك فرلين الذي فهمه اكثر من سواه لما بينهما من القرابة في الاحساس والالم ، مبلغ ما فيه من الحمى والروعة والابداع . واخذ الشعراء يفضلونه على مؤلفات «البارناس» واجدين فيه ابلغ ترجمان لثورات الفكر والشعور التي قذفت بالجيل الجديد في معمعان الحرب يشهرونها على عقائد الجيل السابق . وسرعان ما تلألأ نور شهرته وامتد حتى توارى من ورائه سائر شعراء القرن التاسع عشر ، وقد خبا فيما بعد نجم الرمزية وكوكب مجده لا يزال ساطعاً .

ان تاريخ الرمزية الذي يمتزج بتاريخ الادب الفرنسي منذ عام ١٨٨٠ ضروري معرفته لمن يريد ان يحكم على الشعر في الخمسين سنة التي مرت . فان كراهتهم للواقعي او الوضعي مع الاعجاب برابله وبو وفيني وشكسبير وبودلير جعلهم يجتمعون في حلقات تضم جان مورياس وبارس وتيياد وفيكيه وسواهم ، يتذاكرون ويتناقشون وينظمون . واذا ذاك ظهر بينهم بارناسي قديم كان ينفض الحي اللاتيني وطرقه الضيقة المظلمة كالمتسول وهو اصلع الرأس وعليه سحنة سقراط الحكيم : هذا الرجل هو فرلين . وكان ينظم بين الكأس والكأس قصائد ندب جميلة ، وبواسطته تعرفوا الى ثلاثة من الجدد : كوربيار وملارمه ورامبو « عروس فرلين الجهنمي » كما كانوا يسمونه .

قلت ان فرلين كان من صميم البارناسيين ، عمل معهم ومشى على منهاج لكونت دليل، غير انه كان مشبعاً من روح بودلير حتى

استعار منه عنوان كتابه « الاشعار الزجلية » واخذ يبتعد عن البارناس قانعاً من الصور بشدة الاحساس وغموض الشعور يساعده على ذلك حياته التائهة وتعلقه بالخمرة . وهو يقول في كتابه « الفن الشعري » ان الشعر والموسيقى قبل كل شيء ، وان القافية قيد يجب تحطيمه ، ولا حاجة بعد اليوم الى متانة التركيب وبلاغة النظم للتعبير عن الغامض وعن درجات الاحلام ومداها وعن مختلف الشعور من قلق واحلام واضطراب وما شاكل مما ترك اثراً عميقا في الشعر الحديث . لقد اراد فرلين اعتاق الشعر من سلاسل التقليد وبهذا ينتسب اليه الرمزيون غير انهم جاوزوه الى أبعد مما طلب فاتخذوا «رمبو» دليلهم الاكبر . أما هو فبقيت عليه مسحة بارناسية ورومانتيكية ولم يكن تطليقه للقافية الا بمقدار ، حتى ان بعض المغالين من الرمزيين انكروا عليه ان يكون منهم وهو نفسه يقول : الرمزية ، لا افهم ما هي .

اما ملارمه فان انتاجه الشعري لم يكن كبيراً ولكن تأثيره في جيله جاوز الحد واول ذلك لسحر حديثه الذي يعرفه من كانوا يختلفون اليه في نادي سمره ، شارع روما ، وقد حافظ في قصائده على الوزن ورنة القافية ولم يمنعه تأثره ببودلير من الانحراف عنه في النظم والالهام فهو لم يكن يرى في ازهار الشر سوى تخيلات جديدة ومصادر للايحاء. ولهذا لم يكثر من الصور مثله ولم يقبل للحواس سلطة على الفكر وكان يعتقد ان في صور الطبيعة معنى خفياً وانه يمكن ان يلمح من خلالها شيئاً آخر غير ما هي عليه وهذا ما ادى به الى الغموض فكان يقول ان القصيدة سر محكم الاقفال وعلى القارىء ان يبحث عن مفاتيحه اي ان المعنى بقلب الشاعر ويمتاز انشاؤه بالايجاز والتعمية والالباس وبعد المعنى وحذف الفعل من الجملة وهو يحاول فيه ان يرقى الى اسمى ذروات الشعر والفلسفة والموسيقى . غير ان المسافة بين غايته وتحقيقها كانت شاسعة يعز عليه اجتيازها وكان يشعر بذلك ويعترف بقصوره فشبهه ريمي دي كورمون باندرومد التي ربطها نبتون بالصخرة فكانت ترى الوحش يدنو منها لافتراسها ولا تستطيع الافلات والتحليق في السما. فكان الالم يحز في محياها من سمو الشوق وسمو الذعر .

اما رنبو فقد كان اصغر سناً من مالارمه وفرلين وعجيب حياة هذا الشاعر الذي اراد منذ نشأته احداث ثورة في النظم والتفكير فما تعذر عليه ذلك . بدأ النظم في الخامسة عشر فكان رومانتيكياً يحذو حذو فكتور هيغو وفي اقل من سنتين تحرر وثار على كل ما يمكن فكره ان يصل اليه من سياسة ووطن ودين هازئاً بكل شيء تعباناً من ادب نفسه وادب غيره ، ناظراً الى حقائق الحياة من خلال عدسة خياله الواسع الغني بغرائب الرؤى طامعاً بخلق لغة جديدة للتعبير عن المحسوسات . وكان يعتقد ان اضطراب الحواس والاعصاب من لزوميات الشاعر ليصبح كالنبي فيخرق بنظره حجب الغيب وكتاباته غريبة في بابها «كالمركب السكران» و« فصل في الجحيم» وقد بلغ اقصى هذيانه الشعري عندما تعرف الى فرلين فأفلت من قيد المسافة والوقت وخال نفسه في النقطة المركزية للكون فلا الانسان ولا البلدان ولا شيء في العالم يوقف نظره كأنه يرى ويفتكر بغير عيون البشر وادمغتهم ووجد نفسه وحيداً قوياً كلي القدرة فانتهى به ذلك الى غموض لا يدانيه فيه ملارمه نفسه .

ومن نظمه تلك القصيدة المشهورة التي يخلع فيها على كل حرف من الاحرف الصوتية لوناً خاصاً فقد كان لها صدى بعيد ورأى الرمزيون فيها مذهباً جديداً في السمع الملون كما راؤا في قصيدته المشهورة « كيمياء الكلمة » بياناً موجزاً لاطماعه الفنية فرامبو كملارمه اراد ان يكون ساحراً يخلق ازهاراً جديدة واقماراً جديدة وبدناً جديداً ولساناً جديداً وقد صور له الوهم انه سيرفع القناع عن اسرار تبدل وجهة الحياة والاخلاق والشرائع الا انه كان على حد قول الشاعر العربي :

واذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الاجسام

فرزح تحت عبء اطماعه الخيالية واحس بالضجر والعياء والاشمئزاز فطلق النظم وحطم اليراع وهو ابن عشرين وهكذا طوى في اربع سنوات حياة عقلية طويلة الايام .

فرلين وملارمه ورمبو ثالوث الثورة الشعرية من بعد بودلير ، لقد شهروا الحرب على الوضعية فلم يقيض لهم فيها النصر ولكنهم استطاعوا الكبح من جماحها والتخفيف من حدة تيارها فقد اراد الوضعيون ان يرفعوا حجاب الحياة عن غادة الفكر ويجردوها من رداء السر سواء أكان في الروايات التمثيلية ام القصصية فقاوموهم ما استطاعوا المقاومة وابقوا على الحجاب وعلى الاسرار .

نقولا فياض

نظرة تحليلية في سوء تفاهم

للاستاذ زكي طليمات
مفتش شؤون التمثيل بوزارة المعارف المصرية

بهذا العنوان اصدر الاستاذ بشر فارس الدكتور في الفلسفة من جامعة باريس مؤلفاً يتضمن ثلاث عشرة قصة بعضها ذو صبغة محلية خالصة وبعضها الاخر تجري حوادثه في اجواء من هنالك .. وهذا وذاك يتفقان في طابعهما الانساني الصرف، اي انها قصص منتزعة من صميم النفس — النفس البشرية الخالدة بمشاعرها وغرائزها. والقصة لدى بشر، كما نوه بذلك في مقدمة بليغة دبجها لمؤلفه هذا « حنية من صدر الحياة تنتزع لا صورة من صفحتها الواضحة منسوخة » . فالقصة عنده بعيدة ان تكون من دأب آلة التصوير الشمسي التي تنقل عدستها الوان الحياة السطحية — وانما هي شيء اخر اكثر مايكون التصوير والتعبير فيه وسيلة لا غاية. اذ يتجاوز التصوير في القصة تسجيل التحليل المطرد لاشخاص القصة الى اقتناص نبض الحياة الباطنة وتعبير خلجات النفس المضمرة .

فالتصوير لدى بشر انما هو مجاز من الملموس والمنظور الى ضدهما مما هو تائه او متصنع او متردد لونه في سلم القيم الانسانية، هو تصوير لا ينسخ الواقع وانما هو يعرضه حسبما تنبض به حساسيته — حساسية الكاتب طبعاً — ويحوله تأثره . ومثل هذا التهيج من التصوير، كما سبق ان اشرنا، لا يأخذ بالتحليل الظاهري المطرد، ولا يتقيد بالتزامات المنطق المحدود في السياق ولا يعنى بالحبكة، وانما هو يتجاوزه الى اقتناص اوابد الوجدان وشوارد الخاطر ولمعات النفس الباطنة، يجمعها ويلم شتاتها ويضمها ضماً حول حالة نفسية واحدة . ومثل هذا التصوير في الادب يماثله في فن التصوير الشكلي ذلك النهج (اللاواقعي) الذي لا يأبه بالمنظور ومقاييس المرئيات في تسجيل ما تنفعل به نفس المصور وهو واقف متأمل يصور على منظر طبيعي ماثل او انموذج انساني معروض .

وهذا النهج الذي نحن بصدده، يذكرنا، فيما يذكر نا به، بنهج (التأثرية) في التصوير وهو نهج يتجاوز مداه نقل الواقع والمرئي بجذافيرهما والتزاماتها الى محاولة تسجيل ما خفق به قلب المصور او الرسام وحوله تأثره، فتجري ريشته بحيث تجعل عملها جساً ولمساً لا خطاً صريحاً كامل المعاني والحدود . فهي تنطلق الى اثبات نقط وخطوط ناقصة، اما متجاورة واما متتالية، ليست ذات كل واحدة منها كائناً منفرداً بكيانه، ولكنها تؤلف بمجموعها الوحدة الفنية والصيغة التعبيرية للصورة . فالنقطة الواحدة تقفز بك الى الاخرى وهكذا دواليك، ثم تحتشد هذه النقط الحائرة والخطوط الناقصة متسارة بعضها الى بعض في شأن ما وضعت من اجله، وهكذا تتمثل لك الصورة المبتكرة تومي وتلوح، ولا تصرح وتبين، فيها من مظاهر الحياة مسحة ولمعة، وفيها من باطن الحياة لمحات ولفتات، ورجفات . في مثل هذا النهج من التصوير لا يؤبه كثيراً او قليلا لقيمة الانموذج المنقول عنه، اذ المقصود بالمعالجة كشف مستور الانموذج واستخراج مضمره وابراز جوهره حسبما انتهى اليه تأمل المصور وحوله تأثره وانفعاله . وما من شيء على الارض، بالغ من التفاهة ما بلغ، الا ومستوره يستوقف العين، ومضمره يثير الاستغراب، وجوهره يدعو الى التأمل . وهكذا لا نعثر في قصص بشر فارس على موضوع تصطخب فيه الحوادث وتعترك فيه المشوقات والغرائب . وقلما تنتهي القصة نهاية يهدأ معها تطلع القارىء او تنجلي عن حل مرموق يرتاح اليه القارىء، بل ان القصة لتطوى، ولكن العقدة تبقى قائمة من غير حل، تراود الخاطر، وقد تستبد به، وقد تدفعه الى متاهات لا حد لها .

ومن ثم كان اختلاف في وجهات النظر الى هذه القصص، من حيث كنهها، ومن حيث قيمتها القصصية، وليس لي ان اقول شيئاً في هذا، فقد اورد المؤلف في مقدمة كتابه ما يوضح نهجه .

*

هذا من ناحية الاداء المعنوي .

اما من ناحية الاداء اللفظي، فقد اختار بشر فارس لقصصه اسلوباً قدره لفظاً ولحظاً وايماء، تساق فيه المعاني في يسر وانطلاق الى ان تتمايل بما يقضي به الظل والابهام . وبشر متأنق في اسلوبه متخير في الفاظه، تتنغم عباراته تارة ولا تتنغم اخرى، لان معينها من المعاني لا ينفلت كله من مصدر واحد . فهو الكاتب الفنان، وهو الكاتب الذي يميل الى الاستقصاء والبحث المجرد، شخصيتان

اجتمعتا في صعيد واحد وهي القصة . وهاتان شخصيتان متباينتان تحاول كل منهما على رغم بشر ان تمد قامتها وتثبت وجودها الى جانب الاخرى . ومن هنا نرى الفكر تارة متغلغلاً في جنبات القصة، منبثاً في زواياها ، موازناً للعاطفة والخيال ، وتارة اخرى متغلباً عليهما، متزلا بهما احياناً شيئاً من الجفاف بحيث يكلف القاري عناء المتابعة، فيحمله على ان يجتاز جسراً من عذاب او مفازة من التفكير المجرد . بيد ان شاعرية القصّاص كثيراً ما تؤلف بينها في لطف ، والشاعرية في هذه القصص ليست مستمدة من ايقاع العبارات وجرس الالفاظ وانما هي شاعرية باطنية معينها رهافة الحس وامتلاء النفس بالوان الجمال . وفي قصص بشر آثار ناطقات من هذا ، فهو تارة للعاطفة والخيال (اقرأ قصته قيثـار مغترب) (والسفينة) واخرى للفكر (قصة رجل) وثالثة لها جميعاً . وفي كل هذا قلما يسمح الفكر بان يتدفق فيض العاطفة دون ان يذيله بتسجيل تجربة نفسية او لمحة فلسفية ، كل هذا في قول يسير مقتضب .

اما من حيث الموضوعات التي عالجها في قصصه فالمقام هنا يضيق بالحديث عنها جميعاً ، ولكننا نجمل فنقول انها كلها مليئة برغبات الحياة الشديدة ، فوّارة بثورة النفس المتشوقة الى المعرفة ، المتطلعة الى الاصلاح ، فيها سخرية لاذعة ، وربما قلت خبيثة ، اعني مطوية ولكنها سخرية لاجل الحيـاة لا نقمة منها ، لان المؤلف يعلم ان الكمال ليس من سنّة هذا الخلق وانه دون الاحاطة باسرار الحياة موانع ومهالك (قصة رجل) وان المجتمع المصري على الاخص تعوزه امور رفيعة من الروحانيات الفعالة والمثل العليا ، وان المرأة في مصر تحظى من الرجل بنظرة حسية تحطها دون مستواها الحقيقي .

وللمرأة شأن في قصص بشر فارس (اقرأ المرأة والفنان) يطالعك تجاذب وتدافع بين المرأة والرجل عن طريق الاحساس والتخيل ، وترى ان المرأة المغرورة هي التي تعين الفنـان على استكمال كيانه ، وتمهد له طريق النجاح في فنه متى منحته شخصيتها .

وفي قصة (امرأة) يصف المؤلف النساء بانهـا (رعدات في اعضاء هامدة) هم الرجال ولا فخر !! ويجري بشر في هذه القصـة انشودة المجد في قدرة المرأة على بعث حياة الاحساس واللطف في الرجل قد جرت كلماتها من ناحية البديهة النسوية ، وصدرت لساناتها من جانب القلب . وكل صادر من جهة القلب يحمل نبض الحياة .

وفي (قصة ستكمل) تتجلى عناية مشغوفة بالمرأة تمتد الى الى محاولة البعث وخلقها من جديد بطريق يشـير الشك في نفس المرأة المعجبة المزهوة بفتنتها ، ويجعلها تستبين حقيقة رسالتهـا في الحياة (برقاً يلتوي في سماء مغبرة) . رسالة المرأة في الحياة هي المحور التي تدور عليه هذه القصص الثلاث . وهكذا يتقدم بشر فارس الى القراء كاحد الحواريين او سدنة المعابد وفي كفه رسالة للمرأة يبشر بها ويدعو اليها بعد ان آمن بقوتها وايقن بأثرها في حياة الرجل ، فلا عجب بعد هذا ان رأيناه يهدي كتابه الى «من هذبتني فشعرت» . ويبقى ان نعرف ، وهو ما حرص بشر على كتمانـه ، اي صليب منهن يحمل واي زفرات ، أو اي زهور واكاليل .

القاهرة — زكي طليمات

الايام السعيدة

سأل ولد والده قائلاً :
ابتي — ما الذي يمر اسرع من غيره ؟
أهو النهر يندفع من منبعه ؟
ام هي الريح تعصف في اجواز الفضاء ؟
ام هو الكوكب ينسل من السماء في خيط ملتهب ؟
ثم لا يلبث ان يخبو ضوءه ؟
ام هو الدخان لا تجد له اثراً ؟
ام هو الشحرور يتخلل طبقات الهواء ؟
ام هو ساروخ النار يتبعثر في الفضاء مشتعلاً ؟
ام هو الصاعقة الرهيبة ؟
ام هو البرق اللامع الخاطف ؟
بل نبئني :
أهي رمال الصحراء متناثرة تذروها الرياح ؟
ام هي فقاقيع الصابون ؟
ام هي الاحلام ؟
ام الورقة اليابسة ؟
ام البالون الطائر ؟
فاجابه ابوه :
يا بني وقاك الله شر الاحداث
فان ما تسألني عنه فيه لذة وغصة
فاعلم ان ما يمر سريعاً يا ولداه
انما هي الايام السعيدة !..

مترجمة عن الفرنسية .

العنصرية والاستعمار الالماني

بقلم قدري قلعجي

كان من الطبيعي ان تأخذ النظرية العنصرية التي تذرعت بها ايطاليا لتبرير فظائعها الاستعمارية في افريقيا (١)، شكلاً جديداً في المانيا النازية . فالجماعة التي اعتنقتها في الريخ الثالث ، لم تكن تسيطر على مستعمرات اسيوية وافريقية ، ولم يكن لها بد من استعمار ما يجاورها من البلاد الاوربية الصغيرة توطئة لتحقيق مطامعها الكبيرة في آسيا وافريقيا ، فليس من الممكن اذن ان تكتفي بسياسة العداء ضد العروق الملوّنة ، لان الشعوب البيضاء المجاورة لها هي الضحايا الاولى في برنامجها الاستعماري .

ادركت الطغمة الالمانية الحاكمة ان سياسة العدوان ضد العروق الملونة لا تكفي لتحقيق مطامعها ، فنادت بنظرية الدم الالماني لتسعى الى ضم العنصر الالماني الموزّع ، وأعلنت الحرب الفكرية ليس على « العروق المنحطة » وحسب بل على « الاجناس المنحطة » ايضاً ، وعلى الاجناس والعروق التي فسدت دماؤها لكثرة اختلاطها بما دونها من الجماعات البشرية .

وكان من اول اهدافها الدخلية ان تبطش باحرار الفكر في المانيا ، وتقضي على الافكار التقدمية فيها ، فنسبت هذه النزعات الانسانية الى اليهود ، وجعلت مكافحة اليهودية او السامية وسيلة لمحاربة هذه المبادىء ومطاردة معتنقيها (وان كان اكثرهم ليس يهوديا او سامياً) وذريعة لمصادره اموال اليهود !

وبما ان فرنسا هي عدو المانيا التقليدي ، والسدا لذي ينتصب امامها ويحول دون تحقيق مطامعها ، فيجب ان تجد مبرراً جديداً لمهاجمتها ، وقد ارادته مبرراً « علمياً » فانجدها العلماء المزيفون وعلى رأسهم الفرد روزنبرغ الذي هاجم كل ما يُحَب في فرنسا : هاجم فيها النظم الديمقراطية السائرة بخطى واسعة نحو الكمال ، واستنكر الروح التحريرية فيها ، وسخر من الثورات الفرنسية الكبرى ، وانهال بهجر القول على « حقوق الانسان » . وفي الصفحات ٩٥ و١٠٣ و١٠٤ و٦٦٢ من كتابه « روح القرن العشرين » مطاعن جارحة موجهة الى فرنسا « المريضة » بالمبادىء الانسانية والساعية الى تحرير العبيد !.

ان النظرية الفاشستية التي اثرت في النظرية النازية عادت فتأثرت بها . وهكذا طغت على الصحف الايطالية موجة جديدة من الحقد الجنسي . من ذلك ما كتبه ماركو بوميليو في افتتاحية العدد السابع سنة ١٩٣٨ من جريدة « الازيون كولونيال » :

« ان فرنسا التي تفتح ابوابها لابناء الاجناس المنحطة يؤمونها من كل صوب ، ولا تستنكر التزاوج بينهم وبين الفرنسيين والفرنسيات ، والتي يتزعم بعض احزابها رجال يسمون انفسهم احراراً وانسانيين يحاربون الحرب والاستعمار ويدعون الى انصاف الشعوب — تضعف بل تقتل العرق الابيض ، وتثير العروق الملوّنة وشعوب المستعمرات على ممثلي المدنية الغربية . فليعرف الجميع ان مستعمرات فرنسا يجب ان تنتزع من يدها ، لانها تخون رسالتها في هذه البلاد ، وتشكل بانسانيتها المزعومة خطراً على اوروبا والحضارة الاوربية . وقد رأينا اذ كنا نطهّر ليبيا من الجنس المنحط كيف كان اعداؤنا يلجأون الى السودان الفرنسي فيجدون فيه حمى وملاذاً » !.

فكأن هذا الكاتب الايطالي يتحدث بلسان هتلر الذي كتب في الصفحتين ٦٢١ و٦٢٢ من الطبعة الفرنسية من كتاب « كفاحي » ما نصه بالحرف الواحد : « ان الشعب الفرنسي الذي يمعن في الانحدار الى مستوى الزنوج ، خطر على حياة العرق الابيض في اوربا . فهذا الشعب سبب بتسامحه واختلاطه بالشعوب المنحطة ، انتقال الدم الفاسد الى ضفاف الرين ، وانتشاره في كل اوربا ... اقل ما يوصف به الدور الذي تمثله فرنسا في اوربا ، انه جريمة ضد بقاء البشرية البيضاء ... ان اجتياح الزنوج لفرنسا يتقدم تقدماً سريعاً حتى اننا نستطيع التحدث فعلاً عن نشوء دولة افريقية في القارة الاوربية » .

امام هذه المزاعم الجوفاء ، امام هذا الشغب تقوم به دول تزعم انها مكلفة بحمل رسالة الحضارة الى العالم ، كان من الطبيعي ان يبحث المفكرون الاوربيون قضية الاجناس بحثاً دقيقاً ، لا لكي يصدروا مراسيم قيصرية باسم العلم ، بل لكي يثبتوا للعالم ان اختلاط العروق والاجناس لا يضعفها بل يفيدها ، وان اكثر الامم القوية في التاريخ هي خليط من سلالات مختلفة . وقد عبَّر مؤتمر الابحاث العلمية عبر البحار المنعقد في باريس سنة ١٩٣٨ عن هذا الرأي وانكر الوهم القائل بان ثمة اجناساً اوربية او غير اوربية تتفوق على غيرها بسمو العنصر ونقاء الدم .

والواقع ان اكثر الباحثين الاكفاء في علم الانسان يعتقدون ان ليس بين البشر جنس نقي خالص لم يخالطه جنس سواه، وانه اذا امكن

---

(١) راجع العدد الماضي من « الاديب »

تحفظ احدى السلالات البشرية نقية من كل دم غريب فانها لن تبلغ ما بلغته السلالات المختلطة قوة وصلاحاً (راجع الجزء السابع من الموسوعة الفرنسية) • واذا اردنا ان نعدد اقوال كبار العلماء في هذا الموضوع، يضيق بنا المجال ويستغرق ذلك منا سفراً كبيراً • وفي كتاب « نحن الاوربيين » للعالمين الانكليزيين هلسلي وهارون ادلة وافية لمن يرغب التوسع في هذا الموضوع • ويمكن ان يلخص رأيهما على هذا الغرار : « ان التحليل العلمي للجماعات الانسانية يرينا ان ما يحدث بين البشر ، من الهجرة بين الاقاليم والتزاوج بين الشعوب يجعل من الخطأ ان نعد احدى الجماعات البشرية جنساً متميزاً عن سواه •

« وهؤلاء الساسة الذين يزعمون ان بعض الجماعات ارقى من سواها واكفأ ، او ان بعضها ادنى من غيره واضعف ، قد انحرفوا كثيراً عن جادة الحق الذي يقرره العلماء ، وهو انه ما من جماعة انسانية يمتاز جميع افرادها بالصفات العالية او يتسم جميع افرادها بالصفات الوضيعة، فكل منها خليط او مزيج من العناصر الحميدة والذميمة على السواء •

« ان هناك شعباً المانياً ، ولغة المانية، وقد يكون ثمة ثقافة المانية، لكن هذه الجماعة المتميزة بلغتها وثقافتها لا تؤلف « جنساً » واحداً نقي الدم خالص الطبيعة ، وانما تتألف من عناصر الجنس الابيض وجماعة الالبيين وجماعة البحر المتوسط ، مضافة اليها قطرات من دم الغجر واليهود والمغول » • ويقول الدكتور واشنطون بيت : « ان العلم والتاريخ يؤكدان بأن اختلاط الجماعات الانسانية يؤدي الى تنشيط موهبة الذكاء ، وهي اول ملكة يعتز بها الانسان • وانكلترا مدينة باكثر قوتها ، بل بكل قوتها ، الى انها لا ترجع الى جنس موحد الاصل خالص الدم ، بل الى خليط من الشعوب والجماعات • وكذلك يرجع الهولنديون الى اجناس مختلفة ممتزجة ، لانهم فتحوا بلادهم وبيوتهم للجماعات المضطهدة في ارجاء اوربا • ولهذا نراهم من اقل شعوب العالم في عدد الاميين وفي نسبة جرائم القتل وحوادث الانتحار ، وفي مقدمة الامم خلقاً وذكاء ونظاماً •

وصفوة القول ان العنصرية ليست الا حديث خرافة ينتحل اسم العلم • واذا كان مفكرو الدنيا يقاومونها لانها تؤدي الى الكراهية العمياء التي تقسم العالم شعوباً متنافرة تضطرم في صدرها نار البغضاء، فان قادة النازية لا يعملون على نشرها بين افراد شعبهم الا لهذا السبب نفسه، كي يثيروا بها كبرياء العنصر وحقد الجنس وجنون السيطرة •

العنصرية افظع اشكال الاستعمار ، تثير حقد الفاتح على الشعوب الضعيفة ، وتقضي على امل هذه الشعوب بالتحرر • وهي تنكر المبادىء الانسانية الداعية الى الرفق والاخاء والمساواة ، فتعامل ابناء المستعمرات باقصى ما يمكن من الارهاب والعنف ، وكثيراً ما سمعنا هتلر الطامح الى بناء امبراطورية جرمانية عظمى ، يصرح بان الامبراطوريات لا تقوم على سياسة اللين والتحالف، بل بحد السيف • وقد قال لروشننغ يوماً : « نحن بحاجة قصوى الى اراض جديدة ، فيجب ان نصبح دولة استعمارية قوية • واياك ان تعتقد بان النازية ستتخذ من الامبراطورية الديمقراطية نموذجا تحاكيه في بناء امبراطوريتها المقبلة ، فان هذه الامبراطوريات قد سرى اليها الانحلال واوشكت على الزوال ، اذ اصبحت المعاني الانسانية مفضلة فيها على سياسة القوة والجبروت • ولسوف تندم الدول الديمقراطية على تسامحها مع الشعوب التي تحكمها ، لان سياسة الرفق ستفقدها امبراطوريتها الواسعة • ان انشاء امبراطورية متينة الدعائم لا يتم الا بالنار والحديد ، في بحار من الدماء تريقها الارادة الجبارة ، وعلى جثث الملايين تودي بهم قوة طاغية لا تعرف الرحمة • »

وقد اصدرت مطابع كارفور في سنة ١٩٣٧ كتابا للكاتب الالماني الحر برونوفري بعنوان « الخديعة الكبرى » فضح فيه استعدادات المانيا للحرب واعدادها جيشاً من الوحوش لا يعرف الرحمة ، وقال ان العالم سيرى في هتلر عما قريب طاغية لم يشهد التاريخ مثيلاً له الا جنكيز خان الذي اجتاح الشعوب الضعيفة كوحش ضار ينشب مخالبه في عنق فريسته ولا يدعها حتى تنزف آخر نقطة من دمائها • لكن العالم سخر يومذاك من برونوفري، وابى بعض الساسة الا ان يصدقوا « الخديعة الكبرى » التي تصور زعيم الريخ في صورة المنقذ لالمانيا من الفوضى السائدة فيها •

وقد نقل مؤلف « الخديعة الكبرى » في كتابه مقالا نشرته جريدة Deutschewehr في عددها الصادر في ١٣ حزيران ١٩٣٥ بعنوان « غروب شمس الآلهة » جاء فيه : « ان كل ما كان مستحيلا في الماضي قد اصبح اليوم هيناً ميسوراً • وغداً عندما نسير الى هدفنا لن يعترض طريقنا شيء الا قوضناه • وبضربة واحدة سنحطم العمود الفقري لشعب برمته فنحيله الى رماد • سنبيد اعداءنا دفعة واحدة لان الحرب القادمة لن تعنى بالاجزاء بل ستعنى بالكل »

عرض المؤلف هذا المقال الذي يخيل اليك ان كاتبه يشهر مدية في أعين القارئين ويصرخ بهم دون حياء : انظروا كيف نذبح العالم ثم نعته بالجنون • ولكن الواقع اثبت انه لم يكن الا حقيقة مؤثرة رأينا مصداقها في الاهوال التي حلت بالشعوب الضعيفة اذ اجتاحتها الجيوش الالمانية الباغية فطحنتها طحن الحصيد •

قدري قلعجي

دمعة

●

سيلي على خدودها الناعمة ،
يا دمعة الوجد ،
صافية كالقطرة الحائمة
في مبسم الورد

●

وعندما ، من يأسها ، ترتمي
عفواً على صدري
لا تعلقي ، في طرفها المظلم
واجري الى النحر

●

بينا تذوب الأنجم الزاهرة ،
في خاطر الفجر
تناثري من عينها الساهرة
كالانجم الزهر

●

لكن متى ، دمعتك الحائرة
تمضي فلا تجري
لا تحبسي أنفاسك الفاترة
واغفي على صدري

ألم !

رحماك يا طبيب
مالي سوى حبيب
ربي ابتلاه بداء
يعز فيه الشفاء
ورغم هذا الشحوب
يضوع مسكا وطيب

بالله يا طبيب
خبر عن الحبيب
هل لا يزال النحول
يذيب جسماً جميل
كل الاماني لديك
تذوب بين يديك

رحماك يا طبيب
خفف عن الحبيب
فداوه الاليم
أقسى من الجحيم
وجسمه الكليم
أوهى من النسيم

روحي معك
يا طبيب
سل مبضعك
كيما يداري الحبيب
مالي سواه
روحي فداه

غنطوس الرامي

ادب النساء

بقلم السيدة وداد سكاكيني

◆

منذ احست المرأة اشراق الفكر في عقلها ، ورهافة الشعور في قلبها ، اخذت تلوح في آفاق الدنيا تباشير ادبها . على انها وهي في غشاثة الفكر وضآلة المعرفة في بداوة الامم وجهالتها كانت وهي تهز المهد تنشد الاهازيج وترددها ، فيها الحنان على الوليد والحنين اليه ، وفيها الدعاء له والامل المعقود عليه . وكانت العجائز في هذه الفترات الساذجات يتجاذبن على هامش الاحداث والانباء جوامع الكلم ، وامثالاً يرتجلها ذكاؤهن ارتجالا ، او يروينها ويتبادلنها ، فيها الموعظة البالغة والعبرة القاسية والشماتة الجازئة . ولما تقلبت الامم في ادوار الحرية والمعرفة واطوار الحضارة والثقافة ، كان ادب النساء في تطور وتجدد ، فجارين الرجال في التعبير عن خطرات نفوسهن وخلجات قلوبهن ونزعات تفكيرهن . افما كانت سافو شاعرة الاغريق ضريبة لشعراء عصرها ، ان لم تكن ثالثة ثلاثة بين شعراء الغناء عند اليونان ؟ ولولا نزق لعب بعقلها لما ارتمت على البحر من شاهق ، ولكانت وحدها درة الادب النسائي القديم .

وتعاقبت على ادب النساء عصور متفاوتة الالوان والوجهات حتى اوفت امم الغرب على ذروة البعث والمدنية وانبسطت لها آفاق العلوم والفنون ، فكانت نساء الفرنسيين اكثر نساء الغرب استمتاعاً بمباهج الحياة وثمرات القريحة والروح ، فاستوفت طائفة منهن حظوظهن من الذوق ، والظرف ، والادب ، واقمن من بيوتهن الرفيعة مثابة لأهل الفكر واندية لرجال السياسة ، فكن ينشرن آثارهن في الصحف ، ويقرأن ما يكتبن على من يختلف الى مجالسهن العامرة حتى كثر عدد الملمات بالادب ، والمنتميات الى اهله . اما اللواتي كان لهن من الفطرة الملهمة ، والثقافة المكتسبة ما جعل منهن كاتبات ومفكرات فهن قلائل يذكرهن تاريخ النهضة الاوربية الحديثة بزهو واعجاب ، وفي حقبة ادبهن النضير لمعت السيدة دي سيفينيه المشهورة بادب الرسائل والتي كان بهوها موئلًا لاهل الفنون ، ونشأت السيدة دوستال فألفت كتابها « كورين » . ونبغت جورج صاند فأنشأت الكتب الطريفة منها اثرها المسمى « هوهي » كشفت به عن زهرات ادب حي لا تجنيه الا المرأة لانها اعربت فيه عن نفسها وعما وقع في نطاق حدسها وسياق حسها .. ولسوف يبقى على الزمان ذكرها مقروناً بالمياسم النسائية الصحيحة . ولقد استوات بعدها على أمد الادب النسوي الشاعرة الكونتيس دونوايل التي كانت تمثل الالهام بشعرها ، وترسل قصيدها كما ترسل العنادل اغاريدها ، وما تزال السيدة كوليت اديبة العهد الفرنسي الحديث .

وفي عرب الجاهلية والاسلام بدرت بوادر ادب نسائي جميل ، اخذت سلائقه وبديهته تلح في الظهور في غير تنطع ولا ادعاء ، حتى انبثق منها ادب مرموق ولكنه لم يكن متسع الحدود مترامي الاطراف او على شاكلة الادب الذي ابتدعته نساء الغرب ايام الترف والتجديد ، والاستقرار . وكيف اتفق الامر فأدب نساء العرب اكثر ما يتجلى في الشعر الذي كن يطارحنه الشعراء والنقاد في الاغاني والاسمار والذي كان يتفجر من قلوبهن المحروقة في المآسي والرثاء ، ولا ادل على ازدهاره من نقدات بنت الحسين في زهوة الحضارة الاموية ، وندوات بنت المستكفي في عهود الاندلس المشرقة . اما ادبهن العربي الحديث الموسوم بخصائص الانوثة ، النضاح بثقافته وسماته ، فقد ظهر نباته مع باحثة البادية على ضفاف النيل ، وأمرع ، وأزهر في ادب الانسة مي يرحمها الله ، بيد انه لا ينبغي ان نقارن ادب هاتين النابغتين بادب من سبقهن من كاتبات العرب في العصر الغابر على قربه منها . فوردة اليازجي اللبنانية ، وزينب فواز العاملية ، وعائشة تيمور المصرية ، كان ادبهن في قيود الزمان ، وحدود المكان ، وتكاد تنحصر آثارهن النثرية ، والشعرية ، في الرثاء ، والاماديح والمواعظ الاخلاقية . ولكن ليت شعري ما هو الادب النسائي المنشود؟ هل هو ان تكون المرأة مثقفة كالرجل المثقف؟ فاذا خلقت واعية ذكية او تمرست بالصحافة كانت ذات ادب نسائي ؟ او ان كثرة المتعلمات والمعلمات ، والمثقفات ، والمحدثات ، هو الادب الذي اريد ؟ كلا ، ليس هذا ما ابتغي .. وانما ادب النساء هو في تلك المقولات الشعرية ، والرسالات النثرية ، والالواح الفنية ، التي تعبر فيها المرأة الكاتبة عن دخائل نفسها وخفايا حسها ، وعبقرية جنسها ، في بيئة الخطرات النسائية التي لا يتسنى للكاتبين ان يعيشوا فيها ، او يشعروا بها ، او يمارسوها . هو في المواهب الذرية المصقولة والافكار المحررة من اصفاد أحكمت وثاقها الايام ، ففكت بقوة النفوس العلوية الطيبة ،

لتطل على مجتمع النساء المحروم ، فتمده بالضياء والرجاء ، وتوقظ فيه الارواح النائمة او الخانعة في ظلمات اليأس والجهل والهموم .

هو في تصوير الحياة النسائية المبهمة والعادات المحجوبة عن الرجال . فأي كاتب مهما بلغ وعيه واستفاض وحيه يستطيع ان يحيط باسرار النساء وهي عندهن في آبار عميقة وتحت حجب صفيقة ؟ فكثير من احاديثهن لا يفضين به الى الرجال ولا يقدر على ان يستاهـ منهن الا الكاتبة . فسر السحر ، والتعاويذ ، وضروب الكيد بينهن ، والحسد ، وستر المناكر ، وتزوير الجمال ، كل هذا في عالم النساء ، لا يقيّض للكاتب ان يجول فيه . اما الكاتبة فلها فيه جولات مجليات ، فلو سئل اديب منا ان يكشف الغطاء عن صور من اعراسنا الغابرة والمعاصرة أكان يبدع في صنعه كما تبدع الاديبة ؟ وقد تخطئه الطرائق والظواهر ولا يتيسر له التدسس الى بواطن النساء . ولو تصدى قاص من هذه الديار فأنشأ قصة سماها « حمام النساء » أكان يستطيع ان يصف هذه الحمامات الشامية ذوات المقاصير والاجران المقسمة الى « جوّاني » و « برّاني » والمصاطب التي تصطف عليها النساء ومعهن الصور المزركشة ، وبأرجلهن القباقيب العالية او الواطية ، كل منهن تمسك بولدها او تنادي جارتها وقريبتها ، وثمة معلمة الحمام على اريكة ناشزة متكئة على وثير الحشايا تقيس الداخلات بالنظر وتستقبلهن بالترحاب وتجبي الاجور من الخارجات وتشيعهن بالتحيات . لا جرم ان هذا القاص الذي يتوسل بادبه الى تصوير ناحية من حياة المرأة ظاهرة او باطنة انما يستوحيها ويستمد لفنه افانين التعبير عنها من ذكريات له بعيدة حين كانت امه تأخذه الى الحمام معها بعد الظهيرة ، او انه يتصور مجالي الحمام مستعيناً بنفاذ بصيرته وامتداد خياله على اجتلاء ناحية لا يعرفها ، والخيال وحده في الادب لا يكفي لانه يشرد احياناً ويجمح ، فيجني على الحقيقة وعلى العيان ، ويشذ عن دنيا الواقع وشرائط الفن . على انه لم يخل ادب كاتب شرقي او غربي من ذكر النساء ، ومنذا الاديب الذي خلا ادبه من تشريح المرأة او تجريحها او التلميح عنها ؟ وكل ادب تجافى عن مناهلها هو ادب جاف بغيض ، ولو عرضنا على النقد والفكر ما جرت به اقلام الادباء بما كان على الاديبات ان يتناولنه باقلامهن لرأينا فيهم من حاد عن حق ، وجار على قصد ، وسخر منهن عداوة وحقداً . غير ان بيئات النساء عندنا على الرغم من انسلال الحضارة اليها ما زالت مكتمة الانفاس ، مهيضة الجناح لا تستطيع الكاتبة فيهـا — اذا وجدت — ان تعلن مشاعرها الصادقة على ضوء الحرية التي يكتب الرجال في امنها ونعمتها ، ولذلك كان الكاتبون في ادبهن يخوضون ، وبساحته يسرحون ويمرحون ، وهذا ما اخذه منذ اسابيع على المعلم الاكبر طه حسين تلميذه الالمعي زكي مبارك فقد عاب هذا الناقد عـلى اديب المصريين ان يكتب قصتيه الحديثتين « دعاء الكروان » و « الحب الضائع » على لسان امرأتين ، وكان على طه حسين بزعم زكي مبارك ان يكتب عن الرجال لا عن النساء ، وقد فاته ان الاديبة العربية الحديثة مهما بلغت بلاغتها ومهما اتاها الفن والبيان فان تبز طـه حسين في قوة الاحياء والابداع ، فهو جدير حقاً ان يكتب باسمها ، وقدير على ان يصور نفسها بما تحجم هي عنه او بما لا يتاح لها التبريز فيه والمرأة العربية قريرة العين طيبة النفس على كرّ الزمان بهذا الادب الناضر الساحر الذي ينطق بلسانها فيه صاحب « الايام » . ومن هذا الباب استطاع ناقد ان يدخل على ادبي حين احرزت جائزة القصة في المسابقة الاولى التي اقامتها منذ خمس سنوات جريدة « المكشوف البيروتية » ، وكان موضوع قصتي عن رجلين كاد يضل احدهما فأرشده الثاني ، فأبى عليَّ الناقد ان اخوض ناحية خافية في ادب الرجل فلم ير رأيه نقادة آخر اذ قال لي مشجعاً ومؤيداً : — انت اعلم بنا من علمنا بانفسنا ... ثم اعرضت بعدئذ عن اشباه ذلك الموضوع ، وحبست قلمي عما يبدع فيه الكتاب ، فمددت عيني الى ما يعج في حياتنا النسائية الجارية من مشكلات وعيوب مرسلة ادبي على سجية في انشاء الاقاصيص التي تختص بادب المرأة ، وتشتمل على ادق طواياها . ولا ريب في ان ندرة الادب النسوي الصرف مردها عندنا قلة الكاتبات الموهوبات . فلو ان بيئاتنا المنورة منبسطة الآفاق ، وضاحة المعالم ، قوية الاقلام ، لقلنا بان يختص كلا الجنسين في ادبه وان يقتصر عليـه وحده . اما وادب المرأة المعاصر ما زال مضطرب الملامح قليل المحصول والمنتوج ضئيل الالوان ، فلا تثريب على ادباء الرجال اذا تناولوا بعضه بالوصف . والنقد والتصوير ، فاذا قوي هذا الادب بطول الزمان والمران وخلينا بينه وبين حرية مهذبة الاعطاف ، مأمونة العاقبة ، وضحت فيه امور كانت خافية ، وصقلت به اذواق كانت نابية ، وتسامت من اجله نفوس نحو المثل العليا . واحسب ان الدنيا متى هدأت واستقرت ستنتهي المرأة في بلاد العرب الى ادب خاص جزيل يستقل بفنه وحصاده ويتزيا بازيائه الصحيحة فيزدهر بجدته وانوثتـه ويساهم آداب الرجال بتبليغ رسالة الخير والجمال . ومهما تحامل عليه المكابرون بعدئذ فلا بد من رجعة لهم الى الحق ، فيقولوا اذا قرأوه ما قـال الفرزدق حين سمع شعر المخزومي عمر بن ابي ربيعة : « هذا والله الذي كنا ندور عليه فأخطأناه واصابته هذه المرأة . »

دمشق - وداد سكاكيني

الخـــــــوف

بقلم سهيل ادريس

◆

لم اكن اعدو العشرين من سني ، اذ خرجت يومذاك ، ابغي تفريجاً للنفس — ان اقوم بنزهة طويلة . ولعلني كنت ارسخ ما اكون اعتقاداً باني شاب ، اعني انني كنت على يقين وثقة ان لن اواجه الحيـاة — حين اواجهها — بمثل ذاك المرح المشار ، والحبور البسام ، وبمثل ذاك الرجاء الغضير ، والامل الرفاف ..

ولعل الذي طبع تفكيري بهذا الاعتقاد ، هو انني كنت من الصبا في مطلعه ، ومن الشباب في مقتبله، وان احـدنا — شابا — يمنح من الحرية مما لم يمنحه صغيراً .. واذن ، فان ذاك النطاق الذي ضرب عليّ ردحاً من الزمن طويلاً ، قد نزع الان ، وانحلّت عراه ..

ولن اكتم احداً انني سلخت في تلك القرية شهرين متتابعين ، في وحدة يسبل عليها التفكير الهادىء استاراً من الحنين والاشراق ، وفي عزلة تضفي عليها الطبيعة المفتان اثواباً من الغبطة والجزل .. ان هو الا الشباب في مطلعه . — هدوء ترفّ الاحلام على ارجائه الفسيحة ، وسكون لا يعكّر صفوه الا ذاك الهمس الخافت ، همس الرجاء الغضّ ، والامل الخضيل . ولكني لن اعدو الحقيقة حين اقول انني شعرت بحنين لم اشعر به ينغّص عليّ هدوء التفكير،وسكون الطبيعة .. فهل تكون تكشّفت لعينيّ — انا الشاب — مجال بديعة ما حلمت بها من قبل ؟ او يكون انحسر لروحي مهوى جديد لا عهد لي به ؟..

ان هذا الحنين يتنازعني لابتعد قليلاً عن داري التي ركنت اليها ، وطويت في كنفها اياماً قد تكون رخية ناعمة في حينها ، واغلب ظني انها ليست بعد كذلك ، انه « شيء » بعيد يجتذبني اليه ، يدعوني الى الدنو منه .. واقول « انه شيء » ، لانني لم اكتشف آنذاك هويته .. فهل يكون جلموداً اصمّ ، ام غنية شجراء ، ام مياهاً متفجرة ، ام هو اخيراً شبح .. شبح متنكر ؟

واياً ما كان ، فقد استسلمت يومئذ الى اهوائي ، وأرخيت لرغباتي العنان ، فأزمعت ان اذهب . ان ابتعد قليلاً .. وتعمدت حين غادرت داري الا اصطنع محجة بعينها ، فقد بغيت ان اطلق لنفسي كامل حريتها ، فأقصد انى يـلذ لي ، واعرج الى حيث اروم . بيد انني عزمت ان ازجي هذه الساعات الاربع من بعد الظهر ، منطلقاً الى حيث تستقر قدماي، حتى اذا آذن المغيب ، قفلت الى داري .

وابتعدت رويداً رويداً ، ودلفت الى الغابات سعيداً انني شرعت ابتعد عن الدار التي آوتني ، وحجبت عني وشاح النور .. النور العبقري الصافي .. وأخفت عليّ صوراً لئن كانت قديمة مبتذلة في داري لقد احسست جدتها في تلك الغابات البعيدة ، حيث يسمع الانسان صوت .. السكون .. السكون الرهيب ..

وما زلت اغذ السير مستحثاً خطاي بغية في ان اقطع شوطاً ابعد ،اوالشعور يختلف عليّ بين غريب ومعهود ، حـتى بلغت كثيباً مرتفعاً ، اشرفت منه على قرية صغيرة .. هادئة تنتشر فيها بعض الدور تنم عن آثار النعمة والترف . وكان منظراً مونقاً اثر في نفسي أي اثر ، وبعث فيّ فكرة بكرا .

شعرت لاول مرة ان في الدنيا ما يصبى اليه مدى الحياة ، وانما هو في حقيقته حلم حائر يرف فوق الضمير رخياً ناعماً .. وكثير هم اولئك الذين يعيشون بالاحلام ، فما يستفيقون من سكراتها اللذة الا حين يمر بخيوط احلامهم الدقيقة نسيم من

النسام الواقع فيبددها شعاعاً ..

ونظرت ، فألفيت القرية قاصية لن تبلغ بيسير وقت . فهل اعود ادراجي مجتزئاً بما قمت به ؟

لعلني حظيت بالتفريج الذي التمست ، ولعله سرى حقاً عن نفسي ، ولكن هل يقنع امرؤ بما طلب وهو يرى امامه مجالاً للاستزادة ؟ .. ان في طوقي ان استطلع مجالي اخرى تحبر النفس وتمس الروح بفتنة جديدة ، وان استقرىء صوراً غير تلك ، تبهر الحواس ، وتستبعث السحر ، فهل استأنف السير قدماً ، ام ارتضي القفول ؟

وحين نظرت الى ساعتي فألفيتها الرابعة ،احسست نوراً جديداً ينكشف كبيراً مسترسلاً ، فتتشعب شعاعاته وينفذ الى قلبي فيترعه ، ثم ينخطف فجأة ، فيتسلل امامي ، تتضاءل شعاعاتـه .. وألفيتني انقاد طوعاً يحدو بي شوق جديد ، ويدفعني حنين مطّرد ، الى بلوغ القرية .. هذه القرية الصغيرة الهادئة هدوءاً يختلف عن كل هدوء ..

وقلت في نفسي : « سأكف اذ احاذي الدار الاولى ، تلك الدار الجميلة التي تشبه مقصورة خضراء عبرت بالمخيلة مرة واحدة طوال العمر .. وصورتها التي نزلت من نفسي منزلاً مرضياً الجأتني الى مضاعفة الخطو . وألقيت بنظرة فاذا الدار تجلى لعينيّ رويداً ، وتبين معالمها ، وتمتاز آثارها .. فثمة حديقة خضراء تحف بهـا ، يتوسطهـا حوض كبير تقطر المياه فيه ملتمعة .

واما الان ، فلا يفصلني عنها سوى حقل واحد لم تقطع سنابله بعد . وسنحت مني التفاتة الى الحديقة ، فأبصرت طفلاً صغيراً تلوح مظاهر التدليل على ثيابه وكل ملابسه ، بله وجهه الغرير . ولكنني ما كدت اتبينه جلياً حتى تركتني رؤيته اعتقد ان الجمال الذي كنت احلم به غثّ لا قيمة له .. كان يهنم بانشودة ابدعها عقله الساذج ، فرددها فمه الصغير نغمـة علوية ، رتيبة ناعمة ، وخلع عليها ذوقه الموسيقي انغاماً والحاناً حائرة ..

لقد بلغت الدار المنشودة ، ورأيت ان اصبو الى اكثر من ذلك ؟. ان تلك الرؤية وحدها تعدت منتهى احلامي الذهبية ، فليس علي بعد الا ان اعود .. وسرعان ما احسست بالظمأ . وخيل اليّ اذ ذاك انني اسمع خرير نبـع صغير ليس عني ببعيد . وكدت اعتبر ذلك من خداع الحدس لولا ان التق المياه خطف بصري .. حقاً انه لنبع صغير تجري مياهه خلف الدار ، فلاعج عليه .. ولا رتشف من مياهه . ونظرت ، فرأيت ممراً ضيقاً يحاذي الدار ،ويشرف على الداخل من نوافذها ، وهو يفضي توا الى النبع فدلفت اليه .. وسرت خطوتين ، وحانت مني التفاتة الى نافذة مفتوحة المصراعين ولم اتقدم قيد شعرة .. ابصرت جسداً فتياً .. فتاة متمددة على سريرها ، مغمضة العينين ، يهوم عليهما الكرى .. كان شعرها الضارب الى الشقرة مسترسلاً منثوراً على الوسادة خلف رأسها ، وكانت اشفارها الهدب ترسل ظلاً حنونا ناعماً حول معاقد جفنيها .. اما عيناها .. فلم ارهما .. لم ارهما .

وذلك هو النبع امامي تترقرق مياهه هادئة هدوء النسيم في ليلة اضحوان .

وآنذاك ، لم احس الصدى .. ذلك لان المياه على قاب قوس مني .. اراها بعيني "

*

نظرت حولي اذ بلغت ذلك المكان الموحش بعد ان سرت سيراً طويلا .. حثيثـاً . لم ار شيئاً انه سهل فسيح لا شبح لصخرة ، ولا ظل لشجرة . وكان الليل يغمرني كثيفاً صفيقاً . ولم استطع الا على نور شعاعة صفراء تتحلب من وراء الجبل ان اعرف الساعة .. انها الحادية عشرة والنصف .. واين انا ؟؟

انى لي ان ارقى هذا الجبل السامق الذي ينتصب في منتهى السهل ، وقـد بلغ مني النصب مبلغه من الجندي المتحطم يتكلف الزحف على مشقة لينتهي الى معسكره . لم اكن في حيرة من امري .. انما كنت وشيكاً ان افقد الرشد . وقبل ان ابلغ السهل الفسيح الذي يحجب القرية الصغيرة ، التفت لفت البيت ، فاذا نور قـد انبعث من النافذة عذبا لطيفاً .

لقد استيقظت ٠٠هي ٠٠

وطفقت بعد ذلك اجوز السهول ، واعلو الكثبان ، على غير ما هدى او وعي ، لم يكن المهم ان ابلغ داري ٠٠ بل كان ان ابتعد عن تلك الدار ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ، ولم استند الى جذع تلك الشجرة الا بعد ان وهنت قواي ٠ ولست ادري كم لبثت هناك٠٠ كان كل ماحولي يحملني على التفكير على رغم مني ٠ اما انا فلم ارم ان افكر لحظة واحدة ٠ ولهذا كان تفكيري مبهما مستغلقاً ٠٠ كان مزاجاً من الاحلام المدهشة الغريبة والمعاني المتهافتة الحائرة ٠ تلك كانت زبدة الافكار ٠٠

وهل يكون اثر الجديد بالغاً الى هذا الحد ؟

واخيراً حين نظرت الى ساعتي كنت على طريق قريتنا ٠٠ وثمة اوتيت من النشاط ما لم اوت قط ٠٠ ثمة احسست بالاطمئنان يهيمن على ارجاء نفسي ، ثمة شعرت بالدعة تملأ فؤادي ٠٠ لم تعد بعيدة عني ، تلك الدار التي آوتني لتحجب عني وشاح النور ٠٠ النور العبقري الصافي ٠٠

وها هوذا الممر الذي يفضي الى دارنا ٠٠ ولكن من هـذا الشبح العملاق الذي يرود امام عتبة البيت ؟ أسارق هو؟ ٠ولكن انى لي ان اجبهه ان كان هو ، ومدخر قوتي يتبدد هباء ؟ واذن ، فلا مناص من الاستنجاد بالصراخ ٠٠ وسيستيقظ شقيقي ، فيقبل يسأل ما الخبر ٠٠

وكدت ابدأ بالصراخ ، حين شعر الشبح بوجودي ، فالتفت اليّ على مهل ٠٠ وفي ظلام ذلك الليل الحالك ، يحدق الشبح ، فينفذ بريق عينيه الى شغاف قلبي ، ويتقدم خطوتين على هينة ، ويبادرني بهذه الكلمات الثلاث :

— الى اين ذهبت ؟ ٠٠

فاختلجت اختلاجة المتهم قبل القصاص ، وملكتني رعدة هزت كياني هزاً ، واخذت ارتعش رعشات قوية صببت من جبيني العرق ، واذ ذاك فحسب ، سمعت خفق قلبي يتناهى الى سمعي شديداً مصدياً ٠٠

تقدم الشبح مني ، وامسك بذراعي ، وقادني الى الدار كما يقود اب رشيد طفله الغرير ، وولجنا ، ثم اغلق الباب خلفنا ، وتركني على مقربة من باب غرفتي ، ودخل الى غرفته ، فاستلقى على سريره ٠٠ وراح في نوم عميق هادئ٠ ٠

قبل ان آوي الى فراشي ، اعني حين وددت ان انزع ثيابي ، فاضأت المصباح ، ذكرني شعاعه المتمايل نوراً عذبا يتحلب من نافذة ٠٠ من نافذة فتاة ٠٠ قد استيقظت ٠٠ فلذني ذلك ، وحملني الى اجواء تعبق بالسحر والفتنة ، وتفيض بالاحلام والاماني ، ولكن هذه الذكرى سرعان ما قرنت بصورة شاب في مقتبل الشباب ، ومطلع الصبا ، يغذ في السير عبر حقول وسهول وجبال ، مرتعش الكيان ، جازع الفؤاد ، يسوقه الرعب سوقـاً الى داره الحبيبة ، حتى اذا بلغها ، لمح شبحا يرصده ٠٠ ولم يكن الشبح غير شقيقه ٠٠ولعل كلماته الثلاث التي هزت كيانه وصببت العرق من جبينه كانت ذكرى مروعة لا تقاس وقائع القصة اليها في الروعة والخوف ٠٠ ذلك لان كل شيء له صلة به قد رددها ٠٠ رددتهـا الدار الحبيبة ، ورددها الجو الذي يحوطها ، ورجعها ذلك الظلام الدامس الذي كان يرقبه حين ياوي الى فراشه ٠٠ كل شيء ٠

— الى اين ذهبت؟ ٠٠

اما اليوم ، فاذ اخلد الى غرفتي في كل مساء ، وقبل ان استغشي الغطاء لاسلم لكرى جفني ، اتخيل مقصورة سامقة رائعة ، ينبعث منها نور عذب صاف ، اذا « فكرت » في الدنو منه احسست حره يلفح وجهي ، بل يلفح ضميري ووجداني، وان انا مكثت عنه بعيداً ، استشعرت لذة الحلم البعيد ٠٠ الحـلم الذي ينبغي الا يدرك ٠

سهيل ادريس

اغنية الشاطىء

●

قومي الى اليم الضحوك ففيه احلام الحيارى
يستوعب الدر الثمين ويكتم الوجد المثارا
قومي نجد في الموج اغنية تغنيهــا العذارى
فيها الحنين المستكن يجن في الليل استعارا
سكران من صور الحياة تلذه رؤيا السكارى

*

والموجة العذراء تحملنــا الى الشط الفتي
فنعانق الرمل المثير بخافق النغم الشجي
ونداعب الامل المطل على الغمام السرمدي
دنيا الشباب تضمنا والعمر في كف رضي
ترمين بالنظرات حائرة من السر ... الخفي

*

والتم آلاآهــات في رفق وانت على ذراعي
وتغمغمين من الحديث الذ ما يذكي سماعي
الحب والدنيا ونحن وما يطل من الشراع
سكرى من الالحان يسكبها بتحنان يراعي
وبقلبي الخفاق بين يديك في حــال النزاع

وتلوح في الافق البعيد دنى يلوحها الفراق
فيرف جفنانا على وجل ويطوينا العنــاق
ويمر في افكارنا المــاضي على فمه احتراق
يوحي لنا الذكرى وللذكرى جموح وانطلاق
نبكي ونضحك للغد المجهول يغرينا اشتياق

*

شبحان نحن وللهوى القلبــان اجنحة وظل
لا تجزعي يامنيتي ان الزمــان رؤى تضل
نامي على صدري فني صدري الاماني تستظل
انا شاعر الاسرار انشرهــا على قبس يطل
هاتي الفم المعسول ينعشني وهــاك فماً يبل

*

هــذا الزمان خطى سنخطوهــا ونفنى
وتحط فوق جبينه انفاسنا سحرا وفنــا
وتردد الاجيال اشعاراً لنا لحنــاً فلحنــا
لاترهبي القدر اللعوب فانه غفلان عنــا
ما دام في الحب الاريج فلن ينال الدهر منا

احمد عبد الجبار

فضل العرب على العلم

بقلم الدكتور فيليب حتي

◆

في الحضارة العربية

في نيو يورك مجلة انكليزية تدعى « نيرايست سرفيس » نشرت مقالا للعالم اللبناني الدكتور فيليب حتي استاذ الآداب الساميّة (بتشديد الياء) في جامعة برنستون الشهيرة في اميركا والموكولة اليه مراقبة القسم الشرقي في معجم وبستر قبل طبعه الجديد . وقد عرّب هذا المقال وعلق الحواشي عليه الاستاذ امين الغريب .

« الاديب »

كلما وردت على الالسنة كلمة «عرب» ساقت الى الاذهان فوراً ذكريات الجمال والخيول والحرم والازوار(١) . اما العلوم والفنون والآداب وسائر مظاهر الثقافة العليا فقليل جداً بين مستعملي كلمة «عرب» من يرون لها صلة بها . والحال ان الشعوب العربية اللسان ظلت نحو خمسة اجيال من القرون الوسطى اوسع امم الارض عرفاناً واوفرها علوماً . وكانت لغة الضاد اداة للتعبير عن اسمى الافكار وارقاها في آسيا وافريقيا واوربا . ومن اواسط القرن الثامن الى اوائل القرن الثالث عشر ظهرت كتب عربية تبحث في الفلسفة والتاريخ والجغرافية والآداب والعلوم اكثر مما ظهر في اية لغة كانت حتى اللاتينية .

ولا يتعذر علينا تعليل ذلك . فقد كان العرب في اوائل القرن الثامن اسياداً لدولة مترامية الاطراف اوسع واعظم من دولة الرومان في ريعان صولتها . وانبسط سلطانهم على ميدان جغرافي منيع يمتد من غرب اوربا الجنوبي مخترقاً افريقيا الشمالية ، وآسيا الغربية ، الى داخل حدود الصين . وهكذا تحولوا تدريجاً الى وراث لجزء على الاقل من الثقافة الساميّة التي تأصلت ونمت في بابل ، واشور ، وفينيقية ، وفلسطين ، وغيرها من مناطق الهلال خصيبة .

ثم انهم استوعبوا المزايا البارزة في حضارة اليونان ، والرومان ، كما لقوها في بلاد الشام ، ومصر ، والعراق ، وفي العهد الذي انقضى بين سنة ٧٥٠ وسنة ٨٥٠ للميلاد نقلوا الى العربية بطريق اللغة السريانية معظم كتابات اليونان الرائعة في الطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك . وكان معظم اولئك المترجمين من مسيحيي الشام المتقنين للغتين العربية ، واليونانية ، فضلا عن لغتهم الاصلية السريانية . اما العرب انفسهم فلم يكن بينهم من يعرف لسان الروم .



الرازي

وكان زعيم المترجمين في تلك الحقبة رجلا نسطوري المذهب يدعى حنين بن اسحاق (ولد سنة ٨٠٩ ومات سنة ٨٧٣) ويعرفه الافرنج باسمه اللاتيني جوهانيسيوس . فهذا وزملاؤه ترجموا الى العربية اكثر كتب ارسطاطاليس وافلاطون وجالينوس وكان عقل حنين من ألمع العقول في القرن التاسع للمسيح . كما تعد اخلاقه من اعلى الطبقات في ذلك العصر . ومن قلمه السيّال تحتفظ مكتبة جامعة برنستون بكنز ثمين بين اعلى مخطوطاتها قيمة . وهي نسخة نقلت في القرن الثاني عشر عن ترجمة حنين لكتابات جالينوس الطبية تسبق في القدم اية نسخة من الاصل اليوناني او اللاتيني باقية في الوجود ، وتشتمل على مواد غير واردة في نص آخر من

آثار جالينوس .

على اساس هذه الثروة العلمية التي وضع معالمها جهابذة الروم ونقلها عنهم الشاميون الى لغة العرب قام صرح العلوم العربية شيئاً فشيئاً مستنداً الى دعائم قوية . وكان مهندسو هذا الصرح الادبي ، في الغالب ، رجالا من البلاد المفتوحة يعملون تحت رعاية الخلفاء . فانا نعني اذن بقولنا « علوم عربية » ليس في الواقع كناية عن معارف معينة جلبها المسلمون من شبه جزيرة العرب — اذ لم يكن هنالك شيء من هذه المعارف ، لكنها مجموعة تعاليم رتبها ونسقها افراد شاميون ، وعراقيون ، وفارسيون ، ومصريون — ما بين مسيحيين ويهود ومسلمين — واثبتوها في اللغة العربية .

اما عهد الترجمة من اليونانية ، والسريانية ، والفارسية ، فتلاه عهد التصنيف الذي اخذت فيه الشعوب المتكلمة باللسان العربي تنشر كتابات من وضعها وانشائها . واكثر ما يصح هذا في ميادين الطب ، والفلك ، والكيمياء ، والرياضيات .

ولاثبات ذلك يكفي بعض الامثلة : ان اول من استطاع في تاريخ الطبابة على الاطلاق ، ان يميز بطريقة علمية بين مرضي الحصبة والجدري ، كان رجلا من امة الفرس يدعى « الرازي » ولد سنة ٨٥٠ ومات سنة ٩٢٣ مسيحية . ويعرفه الافرنج باسمه اللاتيني « رهازس » وقد ترجموا بحثه في موضوع ذينك المرضين الى اللاتينية سنة ١٥٦٥ والى عدة لغات اوروبية فيما بعد . اما الاصل العربي كما كتبه الرازي فتولى طبعه الدكتور كرنيليوس فان ديك اولا في لندن سنة ١٨٦٦ وثانياً في بيروت سنة ١٨٧٢ فكانت هذه الطبعة العربية الاولى احدى بواكر التحف العلمية من استاذ للكلية التي صار اسمها الان الجامعة الاميركية في بيروت . اما اليونان فلم يكونوا يعلمون شيئاً عن الجدري (٢) .

ويعزى الى الرازي ايضاً اختراع الفتيل في الجراحة لسحب الصديد والدم الفاسد من الجراح النافرة . ولم ينحصر خصب عقله في حقل العلوم الطبية . بل تناول الكيمياء والفلسفة ايضاً . فنقل الافرنج اكبر اثر كتابي له في علم الكيمياء الى اللاتينية في مدينة طليطلة من اسبانيا في القسم الاخير من القرن الثاني عشر . وصار هذا الكتاب المصدر الاول للمعارف الكيماوية في القرون الوسطى ،

ومن باب الاحترام للرازي ، وهو احد اوائل المفكرين واكابر المتبحرين في الاسلام ، ان صورته منقوشة على بلور احدى النوافذ في كنيسة جامعة برنستون .

اما اول طبيب اتضحت له بطريقة ابتدائية دورة الدم الرئوية فكان ايضاً طبيباً من الكتاب العرب دمشقي المولد يدعى « ابن النفيس » . وقد اشتهر في دمشق والقاهرة . ولم يكن هنالك شيء معلوم قبل عهد يسير عن هذا الطبيب الماهر والمؤلف الذي مات في مسقط رأسه دمشق سنة ١٢٨٨ ميلادية . مع ان هذا الوقوف على امره يعيد اكتشافه للدورة الدموية الى ثلاثة قرون قبل ميخائل سرفيتوس البرتغالي الذي درج الافرنج على نسبة اكتشافها اليه سنة ١٥٥٣ (٣) .

وقد كانت لنا دهشة سارة في اكتشاف اثر كبير « لابن النفيس » ربما كان من خط يده في مجموعة عربية طبية خطية ارسلتها جامعة ستانفورد منذ بضعة اعوام الى جامعة برنستون لاجل تنظيمها .


بسم الله الرحمن الرحيم

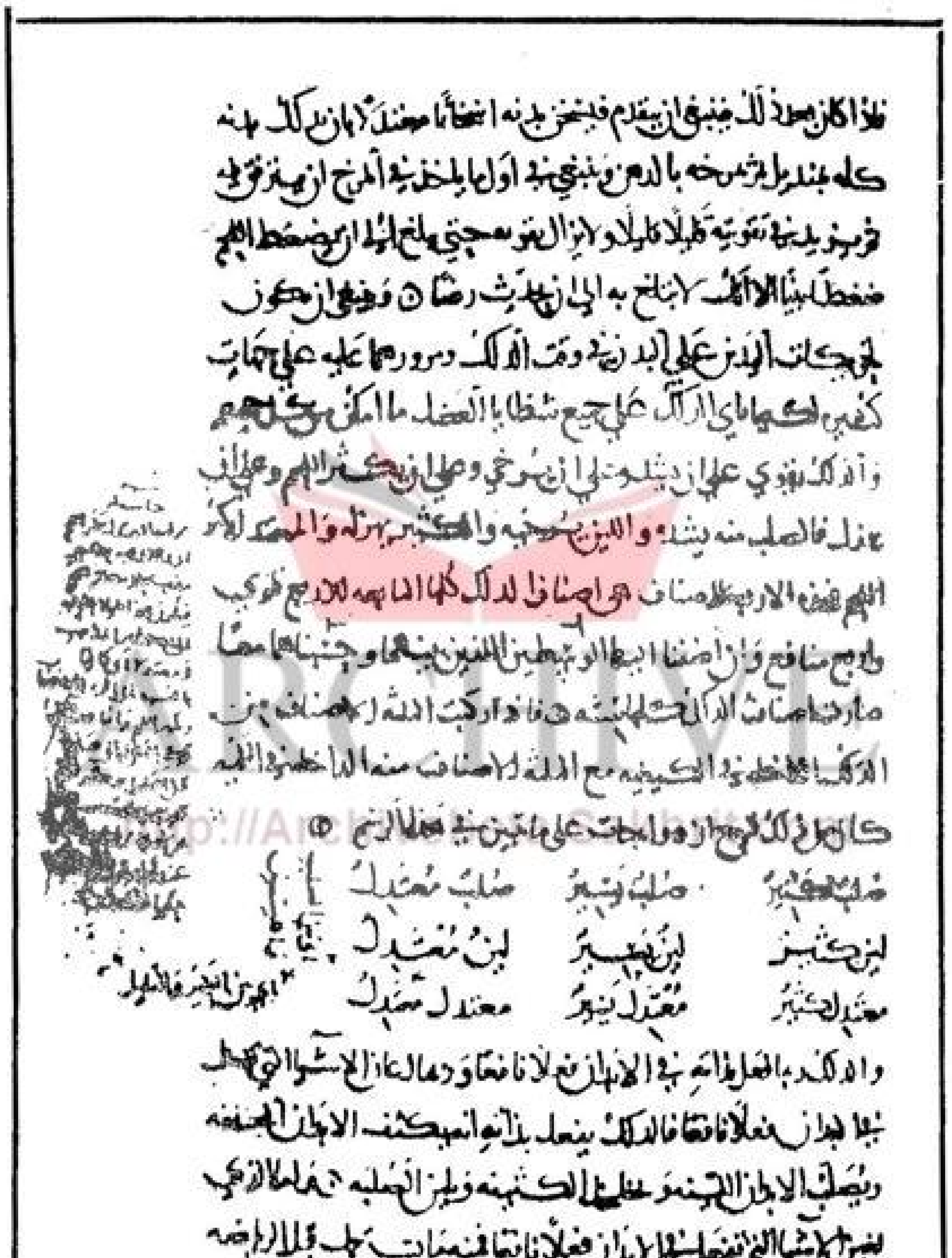
واول جراح ادخل طريقة التطهير بالنار الكاوية في الجراحة او اثبت هذه الفكرة وامثالها في فنه ، كتحطيم الحصاة في المثانة لتسهيل انزالها واوضح ضرورة التشريح لجسد الحيوان الحي لاغراض علمية نافعة ، كان كذلك طبيباً عربياً اسمه « ابو القاسم الزهراوي » اشتهر في بلاط قرطبة الاموي في اسبانيا ومات

سنة ١٠٤٣ للميلاد ، ويعرفه الافرنج باسمه اللاتيني « ابو القسيس » .

فقد كتب الزهراوي اطروحة طبية خص فيها المعارف الجراحية الشائعة في عهده وترجمت الى اللاتينية في القرن الثامن عشر في طليطلة ، وظلت مدى اجيال هي الكتاب الاصلي لتدريس الجراحة في جامعات سالرنو في ايطاليا ومونبيلية في فرنسا ، واكسفورد في انكلترا ، وغيرها من معاهد الطب الاوربية

وبواسطة هذه الترجمات لكتب الزهراوي ، والرازي ، وابن النفيس ، وغيرهم من مشاهير علماء الطب العرب كابن سينا (افيسينا) وابن رشد (افيرويس) ادخلت تعابير فنية عربية متعددة الى اللاتينية ، ومنها تطرقت الى معظم لغات اوروبا الحديثة(٤) ومن الامثلة على ذلك كلمات « جلاب ورب» لعصير بعض الثمار المحفوظ ، و« سيروب» المحرفة من كلمة (شراب) التي تولدت منها كلمة « شربات» الانكليزية . وتشير كلمة « صودا » الى مادة جعلت دواء « للصداع » وهو الم يكاد يفرع الرأس ، كذلك « دوراماتر ، وبياماتر » ترجمتان لا تينيتان لكلمتين عربيتين تعنيان الانسجة والاغشية الدماغية ، ومن العلوم المتصلة بالطب اتصالا وثيقاً الكيمياء التي يدل اسمها على الصناعة العربية التي كانت اصلها .

ان ابا الكيمياء الطبية كان عراقياً اسمه جابر بن حيان الذي اشتهر امره عام ٧٧٦ للميلاد والافرنج يعرفونه باسم لاتيني « جيبر» فلقد عرف جابر معرفة تامة اهمية الاختبار والامتحان وحسن اساليب التمحيص ، والصهر ، والاذابة ، والتبلور ، وتعزو التقاليد الغربية اليه اختراع بضع مركبات (بتشديد الكاف) كيماوية ، كما تنسب اليه كتابات لم تكن له يد فيها ، على ان كتاباته الكيماوية بدون جدال أبعد واقوى اثراً من كل ما نشر من نوعها في اوربا واسيا ، منذ القرن الرابع عشر الى عهد ارتقاء الكيمياء الحديث ، ومن التعابير العديدة التي انتقلت بطريق اللسان اللاتيني الى اللغات الاوربية من كتابات جابر وزملائه الكيماويين العرب نذكر كلمات « الكؤول ، والكالي ، واليكسير ، وانتيموني ، وآلمبيك » وهي (الكحول ، والقلى ، والاكسير ، والاثمد ، والانبيق اي الكركة) . ان بعض هذه الكلمات لم يكن اصله عربياً قحاً بل مستعرباً . وقد وجد له طريقاً بصيغته العربية الى الاسبانية ، والانكليزية ، والفرنسية .



وهنالك علم آخر لا يزال معروفاً باسمه العربي في جميع اللغات العربية تقريباً وهو « الجبر » . ان اول كتاب حمل هذا الاسم وضعه الرياضي الفارسي الشهور باسم الخوارزمي « الذي توفي سنة ٨٥٠ » هذا الرجل العالم قام بافضل اعماله في بغداد مقر الخلافة العباسية . وكان في التفكير الرياضي امضى نفوذاً وابلغ اثراً من كل كاتب آخر . وقد ترجم كتابه « حساب الجبر » الى اللاتينية في طليطلة ايضاً في القرن الثاني عشر ، وظل الى القرن السادس عشر معدوداً كتاب التدريس الرئيسي للرياضيات في الجامعات الاوربية .

هذا الكتاب لم يقف عند ادخال علم الجبر الى اوربا باسمه العربي . بل ادخل « الارقام » العربيه ايضاً ، ومنها الصفر ، وكان هذا الحدث من اهم الاحداث في تاريخ التقدم الفكري ، فلولا هذه العلامات الصغيرة البسيطة لما امكن تقدم الحساب والعلوم التابعة له كالفلك والكيمياء ، ولا بلغت مبلغها العالي فيما بعد .

ان المعجم الحسابي الحديث في اوروبا بالدين الذي يحمله في عنقه للعلم العربي فكلتا الكلمتين « زيرو وسيفر » متحدرة من

كلمة (صفر) العربية التي تعني « الفراغ » . و« سورد » في الجبر و« سبني » في الهندسة المختصة بمساحة المثلثات كلمتان لاتينيتان محرفتان من اصل عربي

وقد امتاز الخوارزمي في علم الفلك ايضاً ، وكان في مقدمة نخبة من الفلكيين والراصدين العرب الذين ترجمت كتاباتهم الى اللاتينية فكانت اساساً لهذا العلم في الاجيال المتوسطة . يكفي للدلالة على ذلك ان نستشهد باسماء الكواكب في اللغات الاوربية ولأكثرها اصل عربي واضح : العقرب والجدي والطائر والفرقد (٥)

وهنالك فوق هذا اوضاع فنية عديدة مشتقة من اصل عربي كقولهم « ازيموث ، ونضير ، وزينيت » (٦) تشهد بالدين الباقي للعرب على العالم الحديث وعلومه في اوربا واميركا

لكن هذا الدين لا يمكن ان يقاس بالاعمال المحسوسة من النوع الذي تقدم ذكره ، بل ان له عناصر لا تقع تحت حس ولا ملمس ولا توزن ولا تقاس ، منها روح البحث الدالة على علم ، وهي تشمل البحث الدقيق عن الحقيقة ، والملاحظة الحساسة للامور الواقعية والظواهر ، ومحاولة استخراج النتائج وتمحيصها والاجتهاد والصبر ، والرحابة ، والامانة ، والنزاهة العقلية ، التي امتاز بها المتبحرون الاولون في الاجيال الوسطى والمؤلفون في فارس ، والعراق ، والشام ومصر ، والاندلس ، هذه المزايا العربية صارت على كل حال مباشرة او بالواسطة ، وعمداً او اتفاقاً ، جزءاً من التراث العقلي الذي تركه العرب للعالم الغربي

فيليب حتي

ترجمة امين الغريب

---

(١) جمع زير . والزير افضل ما رأيت لتعريب المعنى المقصود بكلمة « شيخ » التي يستعملها الافرنج بلفظها العربي للدلالة على محبي النساء من الشرقيين . والزير عند العرب هو محب النساء ولهذا لقب به ابو ليلى المهلهل .

(٢) على ان الجدري كان موجوداً عند الاروام بدليل ان امرأ القيس الشاعر العربي الاكبر الذي توفي ودفن في سفح جبل عسيب قرب انقره وهي وقتئذ من بلاد الروم انما ابتلي ومات بهذا المرض على ما يستنتج من وصفه . اما الرواية العربية القائلة انه حمل قميصاً مسموماً من قيصر الروم عند رجوعه من عنده ولبسه في الطريق فتقرّح جسمه ومات بسببه ، فيرجّح انها اسطورة خرافية ترمز الى بثور الجدري التي ظهرت على جلده ولم يعرف لها سبباً . ولما كنت منفياً في الاناضول اثناء الحرب العالمية الاولى حاولت الحصول على رسم لضريح امرئ القيس المقول انه لم يزل موجوداً قرب عاصمة الاتراك وكتبت في ذلك الى صديقي الاستاذ فرنسوى خوري الذي كان منفياً في انقره فاجابني مع الاسف انه لم يهتد اليه .

(٣) عندما اكتشف وليم هارفي الطبيب الانكليزي دورة الدم العامة في الجسم سنة ١٦٢٨ ووضع لها القواعد الحديثة المشهورة (ومنها ان الدم يخرج من القلب فيطوف في اطراف الجسم ثم يعود الى القلب مرتين في الدقيقة الواحدة) نازعه في صحة رأيه كثيرون من اكابر اطباء ذلك الزمان الذين كانوا واثقين بان الدم راكد في الجسم لا يتحرك . بل كانوا اذا ارادوا فصد مريض عمدوا الى اخذ الدم من جانبيه الاثنين حفظاً للتوازن . فلما اثبت لهم هارفي باذن الملك شارل الاول دورة الدم في جسد رجل محكوم عليه بالاعدام صمتوا واجمين . على ان العرب كانوا يعرفون الدورة الدموية معرفة بسيطة طبعا قبل عهد هارفي باجيال ، لا بدلالة ما جاء الان عن ابن النفيس ، بل اجسر على الاستدلال على ذلك ببيت من شعر المتنبي الذي سبق ابن النفيس بثلاثة اجيال الى الوجود اذ احتفلنا منذ اعوام بمرور الف سنة على مولده . وكان على كثير من التبحّر والتعمّق في المعارف . وقد قال في ما قال :

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي　　وأصبح لي عن كل شغل بها شغل

(٤) قال لي مرةً المرحوم السيرمارك سايكس المستشرق الانكليزي المشهور ان العرب اتحفوا المعجم العلمي العام ثمانمئة كلمة من لغتهم .

(٥) ابراج السماء عند العرب تتنقّل الشمس فيها شهراً فشهراً ابتداء من آذار . وهي الحمل (الذي تعتدل الشمس فيه) والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والاسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي .

(٦) زينيت اصلها « السمت » وهي في علم الهيئة قوس من الافق محصورة بين دائرة الارتفاع ودائرة المشرق والمغرب التي تمر بقطبي الافق وقطبي نصف النهار . وهنالك سمت الرأس وسمت القبلة وسمت الطالع يقابلها من الجهة الاخرى « نظير السمت » وهو النقطة المقابلة للسمت . وقد حرفها الافرنج بقولهم (نضير) اما علم الهيئة فعلم رياضي يبحث في احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها .

تأبين

كانت تحبني ... وربما كنت احبها انا كذلك
ولكن نيسان ماتت،
تاركة اياي وحدي ، انا ذو القلب السريع العطب كحبل المساكين .
وكحبل المساكين احتاج الى عريش .
كنت حبل المساكين وكانت العريش أزهر عليه .
ولكن آلهات الجحيم جاست احلامنا الصبيانية
فبكيت اياماً طويلة وسابكي اياماً طويلة اخرى .
فهلاّ ابتليت يا صديقي بما ابتليت به انا وشعرت بما اشعر به ...
فتدرك عندئذٍ بطلان الحياة بعد تلك اللذات كلها .
وتدرك شقائي ...
ومع هذا
اتمنى ان يكون لي عذراء شابة العب بنهديها ...
فاني اسأم حياتي .
فضجري المضني يتثاءب كصدف آسن او اذا شئت ، ايها القارىء الرثائي ، كوردة منسية تذبل
بهدوء في جو كئيب بارد يخيم فيه السكون ، يحلم السكون فيه كوردة منسية !
اود ان اقبض على نهد عذراء فيشرئب في قبضتي ككلب صغير
يلاطف حيناً ويعتدي حيناً وينبح على القمر .
ذلك اني اكاد اختنق حين يقع نظري على زهرات شفاه الفتيات
واني لكذلك النسر المحطوم الجناح الذي يموت من العطش بجوار ينبوع حي .
اني لاود ان اقيم
بقلب كل من يقول لي جمالها : اسمع .
بقلب كل من جعلت قلبي وطنها
وان اكون موضوع احلامهن في المساء ، في القعر المعطّر من اسرّتهن حين ينسل الحب حتى الى
اطراف انامله ن الحساسة ...
اود ان اكون هذا الرجل !
ولكني اود اليوم ان يكون الى جنبي فتاة موردة مذهبة كالدراقة عذبة كصباح الربيع
واودها بلهاء طرية ليّنة كسنبلة في الهواء ...
فاني اسأم حياتي .

السويس — احمد راسم

الادب الفكاهي في لبنان

بقلم شفيق طبارة

سألني صديق لي يوما كنا نتحدث فيه عن الفكاهة والفكاهيين : — هل اللبناني ظريف ؟ وكان صديقي يريد ان اجعل هذا السؤال دراسة في الادب الضاحك ألمفيها بنشأة الفكاهة في الادب العربي اللبناني الحديث . قلت لصديقي : — للظرف معنى غير محدود . فماذا عنيت بكلمة ظريف ؟ اصطلاح اللغة : انيق اللباس ، مشرق الوجه ، حلو الشمائل ، وضاح الجبين ؟ ام الشائع على الالسنة وهو حلو الحديث ، خفيف الروح ، يميل بطبعه الى المنادمة والانشراح وما يحيط بهما من دعابة ومزاح ؟ فاذا اردت الاول فجوابي : نعم ، وما اظن ان احداً ينكر ذلك او يحاول الجدال فيه ولست اغالي اذا قلت : ان اللبناني في هذه الناحية من اظرف ابناء الشرق على الاطلاق . واذا اردت المعنى الثاني فاسمح لي ان ادلي برأيي في مقال هو الاول في هذا الموضوع .

وقبل ان استرسل بالبحث يحسن بي ان اقرر انه لم يصل الينا من سكان هذه البلاد الاقدمين اثار ادبية نستطيع ان نعتمد عليها لمعرفة اهتمامهم بالادب ، وخاصة بالفكاهة في هاتيك العصور . لذلك ظل تاريخ لبنان القديم — لبنان الفينيقي — غامضاً من هذه الناحية الا ما كان له علاقة بالصناعات والعلوم . ثم انتقل بك الى حقبة استيلاء اليونان والرومان على لبنان فترى انه بينما كان اليونان والرومان وعلى رأسهم ارسطو وارسطفان يهتمون بالفكاهة ويبحثون فيها بحثاً علمياً منظما ويضعون لها القواعد والاصول ويؤلفون الروايات الهزلية في اساليب شيقة طلية ، كان اللبنانيون يردون مشارب الثقافة اليونانية والرومانية من ناحيتها الفلسفية والعلمية وكان لبنان — لبنان الاغريقي الروماني — في رخائه وعزه موطن الفقهاء ومعقل الفلاسفة . وكانت بيروت تساهم في الفقه وفي الحكمة . فالحياة الدينية — لا الادبية — هي التي كانت سائدة في تلك العصور ، وهذه الحياة نواتها الحكمة والعلوم العقلية . فكل المسائل كانت تقريبا تدور حول هذه النواة دون اي اتصال بحياة المرح والبهجة والايناس . ومهما نبحث في ابان مجد العرب وسلطانهم عن نديم اشتهر بالتنادر في مجالس الخلفاء الامويين والعباسيين لا نجد في لبنان العربي نديماً ، على كثرة من كانوا ينحدرون الى تلك المجالس من الاقطار المجاورة ابتغاء المكافأة ، ومع ان دواوين الخلفاء كانت حينئذ تضم عدداً من الكتبة اللبنانيين . غير ان هذا لا يعني ان اللبناني ما ضحك في زمانه قط . فالضحك ظاهرة طبيعية يتنفس بها البشر عن خوالج ذواتهم ، وهي جزء روحي من كل انسان . والانسان ضحك قبل ان يتكلم ، ثم ان الظرف ليس ملك امة من الامم ولا وقفاً على شعب دون اخر . فلكل امة ظرفاء مهما ارتقت ومهما انحطت . وانما الفكاهة قد تطورت من الضعف الى القوة تبعاً للاحوال الاجتماعية . وسبب هذا انها فن جميل ، والفنون الجميلة تنمو وتزهر كلما ارتقت الامة واتسعت الحضارة ، شأنها في ذلك كشأن الموسيقى والغناء سواء . قال ابن خلدون في مقدمته : « وهذه الصناعة (يعني صناعة الموسيقى والغناء والشعر الجوني) اخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه . »

وعلى هذا يمكن القول ان اللبنانيين ساروا على سنن من تقدمهم . فكانوا قديماً يتصيدون النوادر واقعة حيثما وقعت من ذوق الشرق ومن لغة العرب . وظلت الفكاهة بينهم هكذا على شأنها في صور (نوادر) طيلة العهد التركي حتى فجر النهضة الحديثة حين استقرت احوال البلاد وشاعت العلوم واستوثق الاتصال بين لبنان والغرب . وكان لهذا الاتصال اثره الحي في تلوين الادب العربي باون جديد ، فجعلت الاقلام اللبنانية تستعذب هذا الادب الفرح ، وانبعثت طوعاً لهذه الحال جماعة من رجال الادب ساهموا بالفكاهة وزودوا العربية بزاد قيم اضيف الى هذا الفن الجميل .

ولست احاول هنا التحدث عن ظرفاء لبنان الحديث ولا عن النوادر التي اصطنعها اللبنانيون وانما اريد ان انشر في هذا الباب ما هو اروع منها . اريد ان اعرض اثاراً لبنانية عربية فكاهية اسوقها شواهد على ان اللبناني اول من عني بالفكاهة وسلك بها مسلك التنوع والتجديد منذ عصر النهضة العربية الحديثة ، يوم هب اهل الشرق العربي من نومهم الطويل . اجل ، عالج اللبنانيون الفكاهة في النوادر وفي القصة وفي الشعر وفي الاغاني وفي الصحف وفي المسرحيات وادخلوها في البحوث المختلفة وتدارسوها . فان شئت ان تقرأ الفكاهة شعراً فطالع (ديوان رستم) لاسعد رستم وان اردت ان تقراها قصصا شائقة فالتمسها في قصص شكري الخوري صاحب جريدة ابي الهول الصادرة في البرازيل وفي قصة

(تمونه) لحنا الفغالي . وان رغبت في قراءتها نوادر ذات مغزى رائع فاطلبها مجموعة في اجزاء (المناهل) الاربعة لجرجس الخوري المقدسي وان اردت ان تطالعها نكتة مبتكرة فانظر الى كتاب (مجمع المسرات) تاليف المرحوم الطبيب شاكر الخوري . وان اجبت ان تسمعها اغاني شعبية فاسمعها دائرة في ازجال الدكتور شدودي وفي اغاني عمر الزعني ويحيى اللبابيدي وعلى لسان طائفة كبيرة من شعراء الزجل بلبنان وان طاب لك ان تطالعها في الوان من ادب التهكم اللاذع فاقراها في كتاب (الساق على الساق في ما هو الفارياق) لاحمد فارس الشدياق . وان تحسب ما تفرق في الصحف والمجلات في لبنان وفي المهجر ادباً فاعلم — حفظك الله — ان لبنان بالقياس الى عدد السكان ومساحة ارض البلاد العربية اسبق جميع بلاد الشرق العربي بظهور اكبر عدد من الصحف الفكاهية،فيه ولا يخفى عليك ان ابناء هذا الساحل اول من نقلوا ماتهياء نقله في لسان العرب من المسرحيات والقصص الفكاهية من لغات الغرب وان بيروت هي المهد الذي نشأ فيه فن التمثيل العربي وان اللبنانيين اول من قاموا بالتمثيل الكوميدي بين ابناء العرب وشاهدت مصر اول ما شاهدت فرقاً لبنانية عربية تمثيلية هبطت وادي النيل في عصر اسماعيل .

هذه هي الثروة الفكاهية التي انتجها اللبنانيون ، وتعال فانظر معي الان الى ما وصلنا اليه . لقد كثرت الكتب في الفترة الاخيرة من عصرنا الحديث واصبح الانتاج الادبي اضعاف ما كان في كل ناحية من نواحي الادب . وكان معقولا ان تساير الفكاهة هذه الحركة فترقى معها وتماشي الحياة . ولكن .. كان من الغريب ان رقي الفكاهة لم يساير رقي الادب لان الانتاج الادبي كثر وارتقى وقل الانتاج الفكاهي وندر . وتعليل هذا في نظري ان كثيراً منا لا ينظرون الى الفكاهة النظرة التي تستحقها من الاجلال والاكبار . وقليل من يحسبها اعلى مراتب الكلام المكتوب والمنطوق . وكان طبيعياً ان يؤدي هذا النظر الشائع الى نشوء روح ادبي القى بثئتنا الادبية في احضان التشاؤم المرير . فالناظر في ادب هذه الايام يرى هذه الحقيقة بارزة ، يرى الانتاج الادبي قد طغى عليه البؤس وصبغه بصبغة الالم الماضي واللوعة المضنية من نوع الكآبة او العصبية الشنيعة التي غشيت المواطنين في هذه السنين . ومما لا ريب فيه ان هذه الخلة في بعض الادباء شائنة بمقدار ما هي ضارة . اما وجه العيب فيها فتمثيلها البيئة اللبنانية بوجه قاتم واظهار اللبناني بمظهر اليائس العبوس الكئيب الذي يألف الحزن ويأنس اليه ويرى من الوجود جوانب الشر ولا يرى جوانب الخير . واما وجه الضرر في فحرمان المتعلقين بالادب العربي الاستمتاع بكثير من الفنون وترويض نفوس الناشئين على بغض الفكاهة وتسويدها في عيونهم . والواقع ان الفكاهة على جليل نفعها صناعة دقيقة لا يحسنها في الغالب الا الادباء المجيدون . وهي ولئن هوت احياناً في يد الهجائين الى حضيض السباب ، وفي المجان المستهترين الى وهدة الافحاش ، فانها وقد بلغت عند المتحضرين اعلى درجات الكمال اذا اتخذوها وسيلة من وسائل الترفيه عن النفس وجعلوها من امضى ادوات النقد والاصلاح . ولتقدير شأن ما بلغته الفكاهة في الامم المتحضرة حسبك ان تعلم ان موضوعها يلعب دوراً كبيراً في اداب الاوربيين ودراساتهم وفي حياتهم اليومية . ومن اشهر الكلمات التي تدور في استعمالهم عند البحث في هذا الموضوع كلمة (humour) فمن ضمن ما يعدون به الشخص ان يكون عنده روح المرح والفكاهة ونراها قريبة عندنا من كلمات الظرف والفطنة والكياسة والحذق والتلميح وحسن الامتاع . ثم ان في اميركا مجامع فكاهية تمنح كل عام صاحب احسن مؤلف فكاهي الجوائز المالية اذ يروض افكار الجماهير ويهيىء قلوبهم الراحة والسرور ويعدهم لاستعمال متاع الدنيا بالبشر والتفاؤل . ذلك لان الفكاهة عندهم — في الادب : مظهر الرقي والحيوية وفي الامة : عنوان التحضر ورقة الطباع . وفي الفرد : دليل على شدة الفطنة وصفاء الذهن ولطافة الذوق وسعة الخبرة بالامور .

وبعد ، فهذه هي الادوار التي مرت بها الفكاهة في هذا البلد عرضتها بهذا الاجمال لانتقل الى القول ان لبنان اليوم غير ما يصوره الادب المظلم ، لبنان اليوم غني بالفكاهات الحلوة ، عامر بمعالم البهجة والايناس . فاذا شاء المنتجون ان يكون ادب هذا الجيل صورة تامة للحياة اللبنانية الحاضرة فلا بد لهم اذن من ان يوجهوا احساسهم الى الجانب المضحك بجوار الجانب المبكي ، فاقتصار الادب على المآسي خروج الى الجفاء وانحدار الى الجمود . وادب يتسم بالجد والعبوس في جميع الوانه وصوره لا يبتسم ولا يضحك ولا يغني ، فلا شك انه ادب لا يمثلنا ولا يعرب عن عواطفنا وانما هو ادب فقير ناقص غريب فينا او اذا شئت فقل : نحن في هذا الادب غرباء .

شفيق طباره

فرنســـــــا

لاشيل بيرال

العالم حديقة فرنسا وردتها
فردوس ارضي ذو تربة خضراء وسماء زرقاء
هي الوطن المنفرج
عن ابتسامة من الله

●

العــالم سماء سوداء فرنسا فجره .
على كل قمة غرست فيها فرنسا
علمها المثلث الالوان
يرى بزوغ الحرية

●

العالم قطيع فرنسا راعيه
من خافك الابدي ، ايها الخالق اللامتناهي ،
العــالم هو المسرح
وفرنسا الممثل

●

العالم هضبة وفرنسا هي الدوحة
فحين تهب على البشر زوبعة
من ضربات الله
تلجأ جميع الشعوب الى هذه الدوحة

●

العــالم هو الجسم الخشن وفرنسا هي الرأس
فبالروح تارةً وبالقلب اخرى
تفتتح فيه ملك الحب
سيف السكينة والسلام .

●

العــالم هو المادة وفرنسا هي الروح
فحين ينطفىء شعبٌ اضاءت فيه السماء
تنفخ فيه شعلته
فيعود الله حياً اليه

اذا اشرتِ الي ، ايتها الام ، بالقيام الى النضال
فاني اريدك في القتال فخورةً بابنك :
فالفرنسي ليس خليقاً بفرنسا
الا ميتاً او ظافراً

●

ولكن السماء تلمع دائماً والقبرة تنشد
في الحقل الذي لا يفتر فيه كفاح الفلاح
فالكاهن والشاعر
همـا اخوا الجندي

●

ان شعباً من الابطال لشعبٌ من الرسل
ولهذا الشعب وحده حق الفتح
وتثقيف الاخرين
فهو يعرف ان يموت لاجل الله .

●

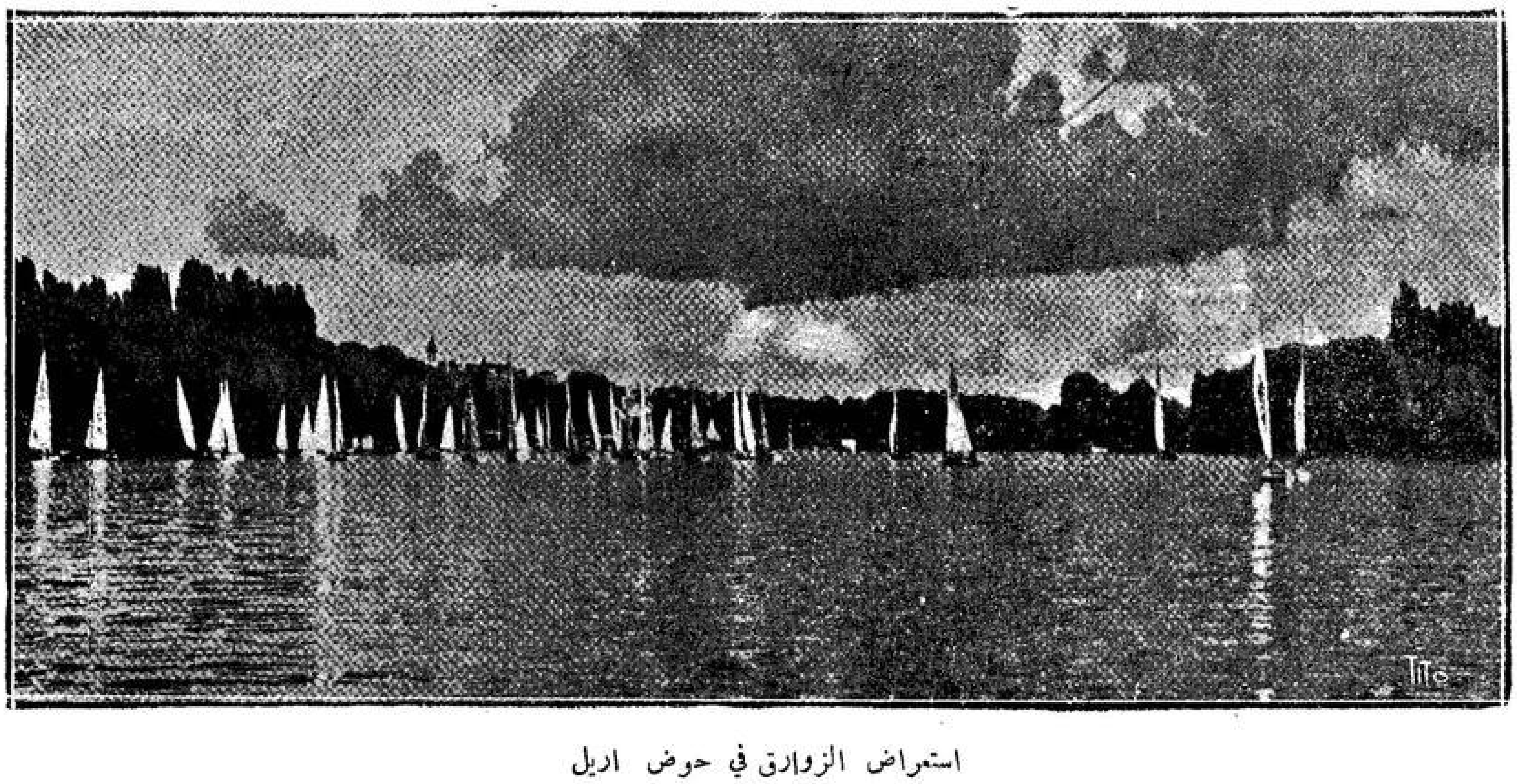
فيملأ السلام ، السلام الاعظم ، السلام الالهي ،
يملأ اعيننا بفجر من الحب :
ففرنسا تشع
بجميع الوان السماوات

●

فاكون عندئذ ، يا فرنسا شارلمان ونابليون ،
رأيت مرتين جمهورياتك الفتية
تفتح ابواب البانثيون
لالهةٍ مسالمين

●

وتبقين الى الابد ، يا فرنستي الحبيبة ،
كصفاء الجلد الازرق الرحيب ،
الوطن الاكمل
لجميع المنفيين



استعراض الزوارق في حوض اريل

الحلاج

بقلم راجي الراعي

ان في تاريخ التصوف الاسلامي صفحة حمراء وهاجة هي صفحة الحلاج الذي بهر الناس وادهشهم بغرائبه وطموحه وشذوذه وكلماته فأثار حول اسمه ضجيجاً لم يهدأ بعد وتناولته اقلام العلماء والمؤرخين والمتفقهين بالتنقيب والتمحيص يحاولون استجلاء ما في تلك الحياة العجيبة من غوامض واسرار وقد بلغ عدد الذين كتبوا عنه حتى هذا القرن الستمائة والستة وثلاثين ما بين عربي وفارسي وهندي ومغربي واوروبي على ما حققه المستشرق الفرنسي المعروف العلامة ماسينيون الذي سلخ الشطر الكبير من حياته لدرس الحلاج واستيعاب امره وطوى مجلدين ضخمين على خلاصة ابحاثه …

تباينت الاراء في الحلاج فالعباس بن سريج كان يقول اذا سئل عنه: « هذا رجل خفي عني حاله فلا اقول فيه شيئا » بينما تجد ابن خلكان على علمه وفضله يقول بان اكثر علماء زمانه افتوا باباحة دمه. ثم ترى القشيري يحبذ كلامه ويثني عليه، والغزالي الشهير برأ ساحته من كل ما استنكره الناس ناسباً كل ذلك الى شدة الوجد بالكمال الالهي. اما ابن الاثير والقزويني وغيرهما ممن تابعهما فيقولون انه كان في بدء نشأته زاهداً متصوفاً يظهر الكرامات ويجترح الايات وياتي بالخوارق والمعجزات حتى انه كان يركب الاسد ويتخذ سوطاً وياتي بفاكهة الشتاء في الصيف وبفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده في الهواء فيعيدها مملوءة دراهم يسميها دراهم القدرة مكتوباً عليها « قل هو الله احد » ويخبر الناس بما اكلوه وما صنعوه في مساكنهم ومشاغلهم كما كان يفعل الحاكم بامره الفاطمي في مصر عندما ادعى الالوهية. فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول فقال بعضهم انه رب قدير وقال غيرهم انه ولي كبير وقال اخرون ساحر مشعوذ كذاب تطيعه الجن والعفاريت فتاتيه بالفاكهة في غير اوانها ..

سيرته:

الحلاج ماخوذ من حلج القطن اي تجريده من قشوره وبذوره وتنقيته على ما هو معروف. قيل انه لقب بذلك لانه جاء حلاجا في دكانه وكلفه الذهاب في غرض له فمضى الرجل وعاد فوجد قطنه كله محلوجاً. هو الحسين بن منصور ولد في البيضاء بفارس من اعمال سجستان ولم يعرف تاريخ مولده ولا كيفية نشأته ودراسته، وكان جده مجوسياً ثم اعتنق الاسلام. وقد شب الحلاج في واسط ثم رحل الى بغداد حيث اجتمع بكثير من المتصوفين من بينهم سفيان الثوري وتلقى تعاليم الصوفية. وكان ذا نفس نهمة قلقة، وذهن حاد وثاب سريع الانتقال من رأي الى رأي فاذا اقتنع بصحة الرأي اعتنقه لساعته واعلنه على الملاء غير هياب وفي ذلك قال لاحد اساتذته يوماً: « يا ابا منصور ليس بعيداً ذلك الوقت الذي يحمر فيه النطع من دمك. » ثم سافر الى الهند فاقام بها زمناً وبعد عودته ادى فريضة الحج ومكث بمكة يروض نفسه على الزهد والتنسك وقيل انه اقام بها سنة كاملة في العراء لا يظله سقف، يصوم بياض نهاره حتى اذا امسى احضر له القوم ماء وقرصاً من الخبز فيشرب الماء ثم يعض من القرص ثلاث عضات ويترك الباقي. وكان شيخ الصوفية بمكة اذ ذاك عبدالله المغربي فلما اشتهر امر الحلاج اخذ اصحابه ومشى الى زيارته فوجده في جبل ابي قبيس جالساً على صخرة مكشوف الرأس حافي القدمين يتصبب العرق من جسمه متتابعاً، فعاد باصحابه من حيث اتى ولم يكلمه بل قال عنه لسائليه: « هذا رجل يتقوى على قضاء الله، فلسوف يبتليه سبحانه بما يفوق صبره وقدرته. » ثم رجع الى بغداد في عهد الخليفة المقتدر ..

مذهبه:

اما مذهبه في التصوف فهو مذهب الاتحاد او وحدة الوجود

او الحلول المؤدي الى اشتراك الانسان في ذات الخالق عز وجل وحلول اللاهوت في الناسوت . ولهذا المذهب وجهان احدهما ان الله هو روح العالم الذي هو جسد الالوهية فالله اذاً في كل مكان ، والاخر ان كل ما في الكون لا كيان له الا كيان الله فكل شيء اذاً هو الله ، واول من نادى بهذا المذهب في الاسلام هو البسطامي . ثم جاء الحلاج فرفعه الى الاوج وحمل لواءه فاثار حقد العلماء وثقاة المسلمين الذين لا يقبلون ان ينزل الالهي في الانساني ولا ان يصعد الانساني الى الالهي ويرون ان حلول الله في العبد معناه هدم الوحدة الربانية وان التصوف يجب ان يظل مقصوراً على سعي المرء الى الكمال دون ادعاء الاشتراك في ذات الله . اما حجة القائلين بمذهب الاتحاد والحلول وعلى راسهم الحلاج فهو ان العقل البشري قد عجز عن مشاكل الكون وان المتكلمين لم يزيدوا بمناظراتهم عقدة الوجود الا صعوبة واشكالاً وانه لم يبق لكشف هذا السر الا طريق واحد هو طريق النور والبصيرة وهذا لا يتيسر الا بازالة حجاب المادة الكثيف القائم بين الانسان وخالقه وبقطع علائقه بعالم الشهادة والملك ، او خلوصه الى عالم الغيب وامتزاج العنصر الالهي الروحي في الانسان بالعقل الاول فيذوب الانسان في الله ويفنى فيه ويتوحد الوجود ويحل الانسان في الاله ويصبح الهاً .

وكان لمعتنقي هذا المذهب لغة خاصة بهم منها قولهم : « انا الحق ، انا الاول ، انا من الكل ، انا العرش ، انا اللوح ، انا منذ الازل والى الابد . » وكانت هذه الكلمات تروع الفقهاء والثقاة وتجعلهم يحتاطون لاصحابها ويعتزلون مجالسهم فلما رأى المتصوفون الاتحاديون ذلك اعلنوا ان لهم حالتين مختلفتين : حالة الصحو وحالة الغيبوبة فاما الاولى فهم ينطقون فيها بالشريعة واما الثانية فهم يعبرون فيها عن الحقيقة وقد سمى الفقهاء كلماتهم في الحالة الاخيرة بالشطحات وغفروها لهم لانها تصدر عنهم في حالة الغيبوبة التي تشبه النوم او السكر المباح ولكنهم لم يقبلوها منهم في حالة الصحو مطلقا بل عدوها جريمة تستوجب القصاص ولم يطق صاحبنا الحلاج صبراً وابى الا ان ينطق بتلك الكلمات في حالة الصحو فيقول : « انا الاول والاخر والظاهر والباطن ، انا الحق والكل ، وما في الجبة غير الله . » ومن المأثور عنه اثناء توجده بالله قوله :

انا من اهوى ومن اهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته ... واذا ابصرته ابصرتنا

وقوله :

عجبت منك ومني ... اغنيتني بك عني
ادنيتني منك حتى ... ظننت انك اني

وقوله :

ارسلت تسأل عني كيف كنت وما
لاقيت بعدك من هم ومن حزن
لا كنت ان كنت ادري كيف كنت ولا
كنتم اذا كنت ادري كيف لم اكن

قيل انه خرج يوماً من الحمام فلقيه بعض الهازئين به المخالفين له فصفعه صفعة شديدة فقال : يا هذا لمَ صفعتني؟ قال : الحق امرني بذلك . فقال : بحق الحق اردفها باخرى . فلما رفع يده يبست . وقال القزويني لما ظهر قوله « انا الحق » وتكلموا فيه قالوا له تداركا للامر قل « انا أحق » بهمز الالف وتخفيف القاف فقال لا اقول الا انا الحق فاساؤا الظن فيه ، وقال له احدهم ان كنت صادقاً فامسخني قرداً فقال لو هممت بذلك لكان نصف العمل مفروغاً منه ، ومما قاله في استنكار الناس لقوله انا الحق :

سقوني وقالوا الا تغن ولو سقوا
جبال حنين ما سقيت تغنت
تمنت سليمى ان نموت بحبها
واهون شيء عندنا ما تمنت

ومما قاله متزهداً :

دنيا تخادعني كانـ ... ـي لست اعرف حالها
حظر المليك حرامها ... فانا اجتنبت حلالها
فتى طلبت زواجها ... حتى اردت وصالها
ورأيتها محتاجة ... فوهبت جملتها لها

مصرعه :

وما زالت تلك حال الحلاج حتى نقل عنه الى الوزير حامد بن العباس انه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه ويحضرون له ما يشتهي وان نصراً حاجب الخليفة يقول بقوله ويميل الى رأيه فالتمس الوزير

من الخليفة المقتدر ان يسلم اليه والح في ذلك كل الالحاح فسلم اليه على الرغم من نصر ودفاعه فاخذه حامد واخذ معه انساناً يعرف بالشحري وغيره ممن يعتقدون انه اله واستجوبهم فاعترفوا بربوبيته وانه يحيي الموتى وقابلوا الحلاج على ذلك فانكره وقال حاشا لي ان ادعي الربوبية او النبوءة انما انا رجل اعبد الله عز وجل فاحضر حامد القاضيين ابا عمرو بن العلاء وجعفر بن بهلول وجماعة من وجوه الفقهاء فاستفتاهم فما افتوا بشيء بل قالوا لا يجوز قبول من يدعى عليه الا ببينة او اقرار وكان حامد يخرج الحلاج مراراً الى مجلسه فيستنطقه فلا يصدر عنه ما يخالف الشرع او يوجب المؤاخذة وطال الامر على ذلك والوزير يلتمس علة ليقتله بها وجرى له معه امور يطول شرحها الى ان رأى الوزير كتابا له ورد فيه ان الانسان اذا اراد الحج ولم يمكنه افرد من بيته حجرة طاهرة لا يدخلها احد فاذا ازفت ايام الحج يطوف حولها وبعد ان يفعل ما يفعله الحجاج بمكة يجمع ثلاثين يتيما ويطعمهم ويخدمهم بنفسه ثم يكسوهم ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم فاذا فعل ذلك كان كأنه حج فلما قرىء هذا في المجلس قال القاضي للحلاج من اين لك هذا قال من كتاب الاخلاص للحسن البصري فقال القاضي « كذبت يا حلال الدم فقد سمعناه في مكة وليس فيه هذا فلما سمع الوزير قوله له « يا حلال الدم » طالبه بالافتاء كتابة فدافعه ابو عمرو ولكن حامداً الزمه فكتب باباحة دمه وكتب بعده من حضر فلما سمع الحلاج قال لهم « ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم فاعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في السنة فالله الله في دمي » ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون حتى انصرفوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن حيث قضى ثمانية اعوام . قال عبد الله محمد بن حبيب دخلت : على الحلاج وهو محبوس مقيد فرأيته يبكي ولما ادركته الصلاة رايته نهض وقد سقطت عنه القيود فصلى فقلت يا هذا لم لم تخلص نفسك ؟ قال ما انا بمحبوس ثم انشد :

والله لو حلف العشاق انهم   موتى من الحب او قتلى لما حنثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا   ماتوا وان عاد وصل بعده بعثوا
ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

ثم قال : يا ابن حبيب لا يكون الحزن الا لفقد محبوب وفوات مطلوب وهم الناس على قدر احوالهم مطبوعة بعلم الغيب وعلم الغيب محجوب عنهم فالخلق حيارى وانشأ يقول :

انين المريد لشوق يزيد   انين المريض لفقد الطبيب
قد اشتد حال المريد فيه   لفقد الوصال وبعد الحبيب

ثم قال ايضا يا ابن حبيب حججت الى زيارة القديم فلم اجد لقدمي موطنا من كثرة الزائرين فوقفت وقفة المبهوت فنظر الي نظرة فاذا انا متصل به ثم قال من عرفني ثم اعرض عني فقلت :

عذابه فيك عذب   وبعده عنك قرب
وانت للعين عين   وانت للقلب قلب
حتى من الحب اني   لما تحب احب

وفي نهاية مدة السجن جدد العلماء الشكوى في حماسة اشد من الاولى وطالبوا بقتله فاجابهم الخليفة الى سؤلهم وامر بتسليمه الى الجلاد وقد سرد فريد الدين الفارسي قصة تعذيبه قال :

« اخرج الحلاج الى باب الطاق صبيحة يوم الثلاثاء في ٢٣ ذي القعدة سنة ٣٠٩ واصعد فوق منصة عالية تحوط به الجماهير الغفيرة من عامة الشعب ملقية عليه الاحجار والاوحال وهو لا ينفك عن تكرير تلك الكلمة التي كانت السبب في قتله وهي : « انا الحق ، انا الحق » ولما طلب اليه ان ينطق بالشهادة صاح مخاطباً الاله قائلا : « ان وجوداً انت فيه غير محتاج الى مشعل ينيره » ولما سئل ما هي الصوفية ؟ اجاب بقوله : « هي ما لا تستطيعون ان تفهموه » فاخذ الجلاد يضربه بالسوط وهو يبتسم فلما فرغ من ضربه قطع يديه ورجليه فقابل ذلك بالابتسام وجعل يلطخ وجهه بدم ذراعيه المتدفق ولا يدري احد ما حكمة ذلك عنده ثم فقأ الجلاد عينيه وفي اللحظة التي هم فيها بقطع لسانه كان هذا اللسان ينطق بالاستغفار لذلك الجلاد ومن اشتركوا معه في تعذيبه وبهذين البيتين من الشعر :

طلبت المستقر بكل ارض   فلم ار لي بارض مستقرا
اطعت مطامعي فاستعبدتني   ولو اني قنعت لكنت حرا

ثم حز الجلاد راسه واحرق جثته ولما صارت رماداً القيت في دجلة ثم ارسل الرأس الى خراسان حيث يوجد له مريدون يقولون برجعته بعد اربعين يوما .

راجي الراعي

ابطال المسرح في التاريخ

الفرد غلاتيني الشاعر الممثل البوهيمي

◆

حديثنا اليوم عن الشاعر الممثل الفرد غلاتيني . رجل غريب الاطوار ، وشاعر جذاب ، نسيج وحده في تاريخ الشعر والمسرح .

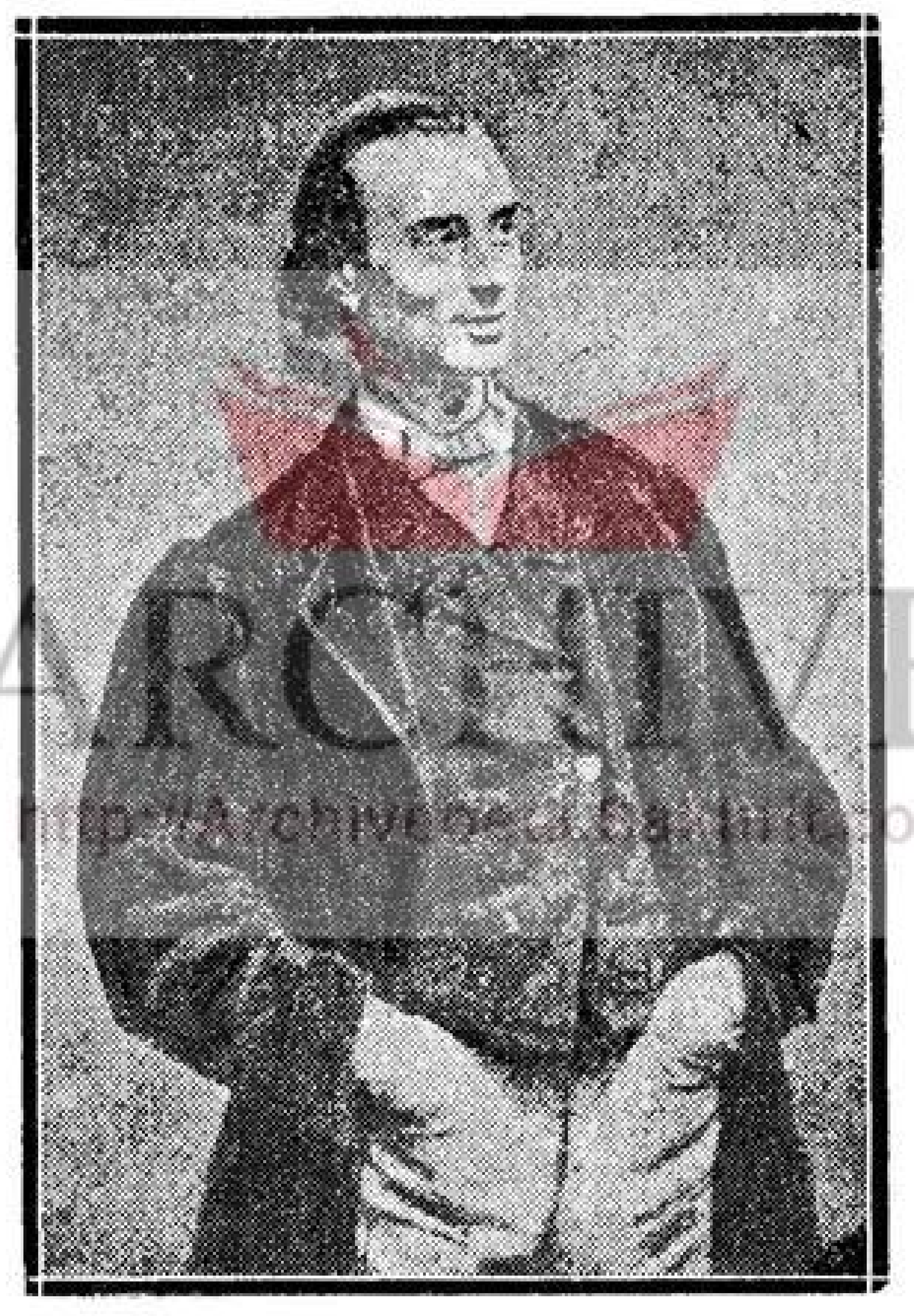
ما كاد غلاتيني يذهب لملاقاة ربه عن اربع وثلاثين سنة (١٨٣٩ — ١٨٧٣) حتى دخل في الاسطورة وراحت الالسن — ألسن النقاد والمؤرخين — تتبارى في اختلاق النوادر عنه . والواقع ان هذا الشاعر العذب ، هذا الشاعر الصادق الحس ، لم ينح في حياته نحو سائر الشعراء والادباء في زمنه بل اختلف عنهم في سلوكه وطرق احساسه وفهمه وتعبيره .

قال كاتول مانديس يصف غلاتيني : « طويل القامة هزيلها كأنه وتد كرمة يعرّش عليه الجلبلاب والياسمين ... »

وقال اناطول فرانس يصفه : « طويل هزيل شاحب اللون مستطيل الرأس كالشمام ، يرتجل الشعر ساعة يريد حتى لوشاء ان يحدثك شعراً لما تلعثم . لغته لغة الشعر الحلال حتى في الارتجال . طيب القلب ، مبسوط اليد على قلة . اذا امتلأت يده درّت عليك الخير بكرم لا يجارى ، واذا صفرت لا يخجل من الاعتذار . »

وقال غلاتيني نفسه يصف نفسه : « ممثل خيالي التفكير ، شريد طريد ... طويل ... طويل كالصفصافة ، فخور عالي الجبين كالامير ، اذا مشى قصرت المسافات ، فكل خطوة من خطاه تبتلع الفا من الامتار ... »

وكان غلاتيني مشهوراً بطول ساقيه ...



الفرد غلاتيني الشاعر الممثل البوهيمي

وقال غلاتيني في احدى قصائده : « اذا فاضت روحي او اذا ذهبت لا اعلم الى اين لأقيل قيلولتي الابدية ارجو ان لاتجيئوني بكاهن يقرأ اللاتيني فوق رأسي ، وان لا تدعوا الاجراس تقرع حزناً على مصيري . بل ادفنوني في صبيحة شمساء كيلا تشتي الامطار والرياح من يرافق جنازتي . فانا لم اسيء الى احد في حياتي ولا اريد ان اسيء في موتي الى احد ... »

اما الذين كتبوا عن هذا الشاعر الممثل فلايحصى لهم عدد ، وقد يكون اشهرهم بودلير ، وتيوفيل غوتيه وبانفيل وارسين هوسي ، وفرنسوى كوبيه ، وجول كلاريتي ، وكاتول مانديس ، واناطول فرانس ، وروبر ده لا فيلهرنه وبول ارين ، وجول تروفيه ، وسائر من كان يحيط بفكتور هوغو . اما كاتول مانديس فقد وضع في العام ١٩٠٦ مسرحية عن صديقه غلاتيني مثلت على مسرح الاوديون .

وفي جملة النوادر التي قصها هؤلاء الكتاب عن الشاعر انه جاءه يوماً مندوب من قبل صاحبة السمو الامبراطوري الاميرة ماتيلد ليدعوه الى حفلة استقبال في قصر الاميرة ، فظن غلاتيني ان القادم آت ليعتقله فابتدره بقوله :

— ماذا يراد مني ؟ فانا لم اشتغل في السياسة ولا رأي لي فيها ...

فقال الزائر : لقد جئت يا استاذ من قبل صاحبة السمو لادعوكم الى حفلتها الساهرة .

فقال غلاتيني : اذا كان الامر كذلك فلا يحق لي ان

ارفض .

وفي اليوم التالي خف اليه اصدقاؤه يستفسرونه فقال لهم :

« صرفنا ليلة ممتازة وكانت السيدة ماتيلد على جانب من اللطف عظيم . وقد تناولت الشاي مع رينان وفلوبير وغوتيه ، وانشدت اشعاراً ... ومما سرني انني لم اجتمع بسوى شعراء وامراء ... ولو عرفت ذلك قبل ذهابي لما كلفت نفسي مشقة ارتدائي بذلتي السوداء .. فالسهرات في هذا القصر تصرف على هوى النفس .. بدون كلفة . »

ولو ان غلاتيني كان اقل تحمساً لفنه المسرحي لما كان مات في ريعان الشباب ، فاسرافه في التنقل من بلد الى بلد قصف حياته . وما كان غلاتيني الا واحداً من تلك الصفوة الفنية التي تولد في عصر لا تتأثر به ، وتموت جاهلة انها بلغت في حياتها قمة العظمة وادت واجبها الانساني على أكمل وجه .

اصدر غلاتيني مجموعتين من الشعر اجلستاه على القمة : « الكروم المجنونة » و « الاسهم الذهبية » . والى القراء ابياتاً من قصيدة يخاطب فيها الشاعر رونسار :

Tu fis passer la fraîche haleine
De ta blonde maîtresse Hélène
Dans tes Odes, comme un parfum.
Et tu jetas dans les pierreries
Qui constellaient tes rêveries
Avec faste, aux yeux de chacun !
Que t'importaient les bruits du monde ?
Que t'importait la terre immonde,
Chantre éternellement ravi ?

ومن يقرأ بامعان شعر هذا الشاعر العذب لا يبقَ في نفسه بقية شك في أنه مصدر كثير من الشعراء كبول فرلين وارثور رنبو .



صورة كاريكاتورية تمثل غلاتيني في احد سجون كورسيكا .

وهل يختلف نَفَس فرلين عن هذه الابيات لغلاتيني :

Quel chérubin sourit dans vos sourires
Et les emplit de si charmants delires ?
L'air, en baisant votre corps velouté
Avec les fleurs, rêve de volupté.
J'ai de l'amour, de l'amour plein mon âme,
Moissonnez-en le meilleur, jeune femme.

وليستطاع القول بان غلاتيني كان خاتمة الشعراء الرومانطيقيين .

* * *

قلنا ان شاعر « الاسهم الذهبية » سمى نفسه بالشاعر الشريد الطريد ... ولهذه التسمية حكاية . ففي العام ١٨٦٨ انشأ غلاتيني جريدة لم تعش طويلاً ، فقنط وسافر الى كورسيكا ملتحقاً بجوقة مسرحية . وفي كورسيكا قبض عليه ظناً من السلطة انه هو المتشرد « جود » الذي اقام البلاد وأقعدها وزج في حجرة باردة اربعة ايام واربع ليال ، ولم يخرج الا بكفالة من محافظ كورسيكا الذي تأكد هويته . على ان اقامته بالسجن اورثته داء رافقه طول حياته القصيرة . فلما عاد الى نورمانديا ، مسقط رأسه ، ادركه الداء . وهناك ، في نورمانديا عشق فتاة حسناء تدعى ايماديني، شقيقة الكاتب غاريان ، وما لبث ان تزوجها . على ان حياتهما السعيدة لم تطل كثيراً اذ تفاقم داء الشاعر على حين غرة وفاضت روحه بعد نزع بطيء . وما عتم الامر ان لحقت به عروسه وكانت تحبه حتى العبادة .

الحركة الفكرية في بولونيا

عرف الادب البولوني الحديث ثورتين لكل منهما صلة باحداث سياسية ، فقبل ثورة ١٩٠٥ كان الادب يمثل في الحياة البولونية دور دليل الامة الآخذ بيدها . وبعد هذه الثورة التي ثبتت فيها بولونيا شعورها الوطني ظهرت اتجاهات جديدة وعاد الادب سيرته قبل التقسيم ، سوى انه لم يعبر الا عن مظهر واحد من مظاهر الروح البولونية ، فقد ضاقت مهمته واتسعت في آن واحد اذ حال عن كونه زعيم الامة الروحي واتصل بجميع مظاهر الحياة الوطنية ، وكان ان ختم عام ١٩٠٥ عهد الرومانطيقية الجديدة وساد الادب البولوني شعور حاد بالواقع .

ولأحداث الحرب الكبرى الماضية ، ونشأة كتائب جوزيف بيلسودسكي ، وانتصار معركة الفيستول عام ١٩٢٠ وعودة الاستقلال الوطني صلة بثورة ادبية اخرى او بالاحرى بثورة نفسية خلقية اثرت تأثيراً مباشراً في الخلق الادبي . والواقع ان قضية الاستقلال الوطني لم تبق بعد العام ١٩٢٠ الشغل الشاغل لكل بولوني وكل اديب بولوني . على ان مشاغل اخرى حلت محل هذه القضية . فاذا كانت آلام الحرب ونكباتها قد اثرت في النفوس فالآلام التي تخللت حقبة بعد الحرب وبؤس الازمة الاقتصادية التي انطلقت في بولونيا منذ ١٩٣٠ لم تكن اقل تأثيراً في النفوس من آلام الحرب ونكباتها . فقد انقلبت المراتب التقليدية بطناً لظهر وتحولت الآداب والعادات ، وطرحت الانظمة الاجتماعية على الارض في الامبراطوريتين الجارتين ، وحلت المسائل الاجتماعية في المحل الاول .

وهذه الحالة اوجبت في بولونيا كما اوجبت في سائر اوربا عودة الى الواقعية ، ولكن هذه الواقعية البولونية الجديدة كانت وارثة تلك الرومانطيقية الجديدة التي ما يبرح نبضانها الموسيقي حياً في الذاكرة . سوى ان الآلام البشرية التي يطفح بها عصرنا حركت جميع الارواح الشريفة فنشأ مثل اعلى جديد يقول بمحبة القريب وبالعدل المنزه عن كل اثرة ، وبالعودة الى مبادئ الحضارة المسيحية .

وهذه القضايا الخلقية وجهت الادب البولوني الحديث فاذا هو ادب رصين لا يحترم التكلف العاطفي ولا تحل فيه زخارف الكلام محل الاكرام ، فالقصة يجب ان تكون الحقيقة بعينها بل يجب ان تكون واجباً من واجبات الضمير . هذا الى ان روحاً ديمقراطياً عظيماً يهب في هذا الادب البولوني على اختلاف عقائد الكتاب السياسية . ومن مطالعة نتاج هذا الادب يتضح ان النشاط الفكري في العشرين سنة الاخيرة التي تقدمت الحرب الحاضرة لم ينكمش في بولونيا بل امتد امتداداً كونياً تسلل معه الى جميع الآداب العالمية . وقد اجمع النقاد على القول بان الادب البولوني الحديث تأثر بنفوذين حاسمين ، بنفسية بروست الواقعية ونفسية الانكليزي جويس الانطباعية . ومما يدعو الى الدهشة ان الاديبات البولونيات كن ابرع من الادباء البولونيين في اخراج هذه النفسية الجديدة ، وفي طليعتهن السيدة صوفيا نلكوفسكا في القصة والمأساة ، والسيدتان ايلا كوفيتش وباقليا نلكوفسكا في الشعر الموسيقي .

صوفيا نلكوفسكا

فصوفيا نلكوفسكا هي في عرف معظم النقاد العالميين «اعظم قصاصة في هذا العصر» فقد استهلت عهدها الادبي بنشر قصائد غزلية وانتقلت الى القصة . ثم جاءت الحرب الكبرى الماضية فاحدثت تطوراً عظيماً في عبقريتها . قالت : « كتبت في الحب والفن وفي جمال الفكرة الفلسفية . ولكن لما جاءت الحرب وتداعى العالم ورأيت الآلام البشرية تبدلت طريقتي في الكتابة كأن كاتباً آخر حل في قلمي ... فالاشياء الصغيرة وصغار الناس يستحقون الاهتمام والعطف ... وليس الواقع الأعلى مرتبة من مراتب الجمال في الفن . »

وفي جملة القصص التي وضعتها السيدة نلكوفسكا بعد الحرب « قصة تيريزياهنير » (١٩٢٣) و « الحب الردي، » (١٩٢٨) وفي كلتا هاتين القصتين صورت الكاتبة التبدلات الاجتماعية والخلقية التي طرأت على المجتمع الانساني بعد الحرب . وفي العام ١٩٣٥ اصدرت قصة « جدران العالم » وقد استوحت موضوعها من جميع

اجناس المجرمين الذين اتيح لها ان تقربهم في السجون . وفي العام نفسه اصدرت قصة « الحد » التي نالت جائزة الادب الكبرى . وفي هذه القصة حللت الكاتبة قصة جريمة عاطفية ذهبت ضحيتها شخصية جزيلة الاحترام . وقد يكون موضوعها تافهاً على ان فن الكاتبة يظهر كاملا في انشائها وتصويرها الاخلاق ، ولا سيما اخلاق النساء ، والوسط الريفي الذي تدور فيه حوادث القصة .

ماري دومبروفسكا

وماري دومبروفسكا هي كذلك في طليعة من اعتمد النفسية الجديدة ، وقد قيل عنها انها تنظر الى القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية نظرتها الى قضايا خلقية لا مندوحة فيها عن مساعدة الانسان لاخيه الانسان .

أصدرت هذه الاديبة مؤلفها الاول « غصن الكرز » في العام ١٩٢٢ ولكنها لم تحرز نجاحاً الا بمجموعتها القصصية «الذين هناك» وهي تصور حياة المزارعين . اما اهم مؤلفاتها فقصة « الليالي والنهارات » وهي في اربعة اقسام وستة مجلدات صدرت بين ١٩٣٢ و ١٩٣٤ واجلست السيدة دومبروفسكا في المرتبة الاولى من القصاصين البولونيين وأكسبتها جائزة الادب الكبرى . قصت الكاتبة في مؤلفها الضخم هذا قصة زوال مجد اسرة بولونية نبيلة فقدت اراضي اجدادها وصار اربابها يكسبون عيشهم من اكتراء الاراضي او من المهن الحرة . ولا ننس ان بولونيا بلاد ذات تقاليد زراعية فمن يفقد فيها اراضيه يدرج في عداد زائلي الحرمة .

جول كادن براندروفسكي

ويجمع النقاد العالميون على ان جول كادن براندروفسكي هو اعظم كتاب هذا العصر على الاطلاق . وينتسب هذا الكاتب الى جيل يقف على حدود عهدين من الحياة البولونية فمستهل نشاطه الادبي يرجع الى سنوات قبل الحرب الكبرى ، وفي ذلك الحين كان واقعياً وما يزال . ففي شهر آب من العام ١٩١٤ انخرط الكاتب الشاب في كتائب بيلسودسكي . ومن المذكرات التي دونها خلال الحملة أصدر ثلاثة كتب هي « اشياع بيلسودسكي » و « معركة كوناري » و « القبور » . وقد شاء الكاتب الجندي ان يبث الدعوة للجهد الوطني الذي يقوم به جوزف بيلسودسكي وكتائبه فكانت كتبه الثلاثة بناء ادبياً رائعاً ووثيقة تاريخية خطيرة . وبعد الحرب أصدر براندروفسكي « القوس » (١٩١٩ — ١٩٢٩) والجنرال باريز (١٩٢٣ — ١٩٣٠) وهي قصة سياسية تتجاذب فيها حقوق الفرد وواجب الدولة . و « الاجنحة السوداء » (١٩٢٨ — ١٩٢٩) وهي قصة اجتماعية في مجلدين درس فيها الكاتب حياة عمال المناجم في حوض دومبروفا ودسائس الرأسماليين واهواءهم . و « ماتيوبيغدا » (١٩٣٣) وهي قصة سياسية في ثلاثة مجلدات وصف فيها الكاتب اضطلاع المزارعين بالحياة السياسية .

الشعراء

في مقهى « بيكادور » بفرصوفيا نشأت بعد الحرب الكبرى كتلة الشعراء الفتيان المعروفة في تاريخ الادب بكتلة سكاماندر ، وهو اسم المجلة الشعرية التي تأسست في ذلك العهد . ولا نزاع في ان كتلة سكاماندر تشتمل على اكبر شعراء بولونيا في الوقت الحاضر كتوفيم وليشون وسلونمسكي وفيرزنسكي وايفاز كيبفتش .

فجول توفيم شاعر بالفطرة واستاذ من اساتذة الكلام ، جعل من الكلمة اداة للتعبير عن ادق دقايق الروح .

وجان ليشون شاعر احتفظ بالتقاليد الرومانطيقية واعتنق بقوة قوالب الواقعية البولونية . وهو في طليعة شعراء بولونيا الحديثة .

وانطوان سلونمسكي شاعر كلاسيكي جموح الحس .

وكازيمير فيرزنسكي هو الشعر الحلال تجري الموسيقى من قلمه بسهولة كأنها تغني وتنشد . أنشد في بادىء الامر الجمال الجسدي ولذائذ الحياة وزهوة الشباب ثم تحول الى مشاهد اروع واصدر قبيل الحرب الحاضرة مجموعة شعرية بعنوان « الحرية الفاجعة » تنم على مشاغله الوطنية والاجتماعية .

وجاروسلاس ايفاز كيبفتش شاعر رقيق مرهف واسع الاطلاع على الاداب الغربية ولا سيما الادب الفرنسي ، يصف مشاغل الزمن الحاضر بواقعية مدهشة وفي غمرة من الالوان والموسيقى .

وصفوة القول ان بولونيا تضم عدداً كبيراً جداً من الشعراء ، فالشعر في بولونيا من تقاليد الامة كما هي الديمقراطية وكما هي الحرية .

قلق

•

عاطيت عينيك حديث الهوى فتهت من عينيك في مبهمات
لمحت شيئاً فيهما قال لي : اقصر. وشيئاً قال: بل خذوهات
جئت ربيعاً غبَّ جدب سرى وكفه السمحة ملأى هبات
لا تسألي ان اتمنى . وان كنت لدى دنيا من الطيبات
عفت الاماني . انني خفتها كم عاش قلبي بالاماني ومات !
ماضيَّ لا يمضي . ولكنه للغد يبقى غصة والتفات
والنفس مهما اقفرت لم تزل تنبت اعشابا من الذكريات !
يا بغية العمر دنت من يدي يا حلم زهو وهوى وانفلات
اخاف غب الحلم من يقظة ينفرط الحلم عليها شتات

طرطوس ــ رئيف خوري

هل نحن روحيون ؟

بقلم الدكتور كريم عزقول

◆

يتنازع

الحياة في تطورها قوتان : قوة تجذبها دوما الى الامام ، ومبعثها الروح التي تنزع الحياة اليها ، وقوة تشد بها دوماً الى الوراء ، ومصدرها المادة التي انطلقت الحياة منها . فالقوة الاولى تسعى لرفع الحياة الى مستوى الروح ، وسنتها التقدم ، والثانية تحاول انزال الحياة الى مستوى المادة ، وسنتها الجمود. وما يصح في الحياة عامة يصح ايضاً ، وبنوع خاص ، في الحياة الانسانية وتطورها الاجتماعي ، مع هذا الفرق ان اكثر عوامل التقدم والجمود في المجتمع البشري واقواها هو من نوع نفساني فكري ، بينما تلك العوامل هي في سائر الكائنات الحية الاخرى من النوع البيولوجي والمادي .

الفكرة الخاطئة والتطور

واني اود، في هذا البحث، تناول احد العوامل الفكرية النفسانية التي توقف تيار التطور الاجتماعي وتجمده ، ناظرا اليه من وجهة امتنا وبالنسبة الى مجتمعنا . وهذا العامل هو سيطرة فكرة خاطئة على المجتمع اوالاستمرار على الاعتقاد بفكرة كانت صحيحة ، الا انها ، لتبدل الاوضاع ، لم تعد تنطبق على الواقع .

فان ازدهار العلوم الفلكية والطبيعية مثلا في العصر الحديث لم يكن ممكناً الا بعد انهيار الفكرة الخاطئة التي سيطرت امدا طويلا على العقل البشري وحالت بينه وبين التقدم العلمي ، الا وهي الاعتقاد بدوران الشمس حول الارض . فقد بقي باب العلوم الفلكية والطبيعية مغلقاً ، بسبب تلك الفكرة ، قرونا عديدة ،حتى جاء كوبرنيك بفكرة دوران الارض حول الشمس ، فحل العقل من القيود التي كانت تلك الفكرة الخاطئة قد كبلته بها ، وحركه من الجمود الذي كانت ألفته فيه ،فسار مندفعاً طليقاً في ميادين التقدم العلمي .

وما بالنا نذهب بعيدا ؟ اما انهارت فرنسا انهيارها العسكري في هذه الحرب لان قادتها استمروا على الاعتقاد بصواب الخطة العسكرية القديمة التي احرزت فرنسا النصر بفضلها في الحرب الماضية ، معرضين عن نداءات الجنرال دي غول الذي فهم قبل سواه ان ما كان صواباً في الماضي قد اصبح خطأ اليوم ، وانه من الضروري ابدال تلك الخطة القديمة بخطة تكون اكثر انطباقاً على ظروف الحرب الحديثة وحاجاتها ؟

من الجلي اذن ان سيطرة فكرة خاطئة على المجتمع او الاستمرار على الاخذ بفكرة كانت صائبة ، الا انها ، لتبدل الاوضاع ، لم تعد تنطبق على الواقع ، عامل من عوامل الجمود في التطور الاجتماعي ، ذلك الجمود الذي يقود الى الهلاك احياناً .

من عوامل جمودنا

ولا شك في ان مجتمعنا ليس خالياً من مثل هذه الافكار . وما اجدر بنا اليوم ، نحن الشباب، المتألمين من حاضرنا ، التائقين الى مستقبل افضل، الواقعين في حيرة من الطريق التي تؤدي الى ذلك المستقبل ، ان نفتش عن هذه الافكار الواقفة سداً امام تقدمنا وان نهدمها .

ولعل اعمق هذه الافكار في نفسية مجتمعنا ، واوسعها شمولا ، واكثرها غموضاً ، وبالتالي اقواها اثرا في جمودنا وتأخرنا ، هي فكرة روحيتنا ، هي الاعتقاد باننا روحيون ، هي القول بروحية الشرق ازاء مادية الغرب .

في سيطرة هذه الفكرة على نفسيتنا الشرح الحقيقي لموقفنا العام من مظاهر الرقي والتقدم عند الشعوب الاخرى .

افلسنا كلما رأينا اختراعاً جديدا ، او سمعنا باكتشاف حديث ، او قرأنا عن مظهر من مظاهر العمران في الغرب ، فاستهوانا ذلك ، وتحفزنا للسعي وهممنا به ، برزت لنا فكرة روحيتنا تلك ، تملؤنا نشوة وكبرا ، فنتراخى ونقنع ونتعزى ونحن نقول : اما كفانا اننا روحيون؟

الا نرى مجتمعنا ، اذا قيل له : ما بالك جامدا وقد بلغ الغرب ذروة التقدم ، اجاب : لكم ماديتكم ولي روحيتي ؟ الا نراه كلما قيل له : لقد ملأ الغرب العالم باختراعاته واكتشافاته — لقد انشأ العلوم الواسعة والفنون الرائعة والفلسفة العميقة — لقد سيطر النظام على حياته الاجتماعية واستتب فيها الامن والطمأنينة، وتساوى ابناؤه في الحقوق والواجبات ، واطلقت لهم حرية الفكر والقول والعمل ، وساد في محاكمه العدل والانصاف — لقد تأصل في قلوب ابنائه الشعور بالكرامة القومية ، وحب الاستقلال لبلادهم ، والتفاني في سبيل الدفاع عنها — الا نرى مجتمعنا ، كلما قيل له مثل هذه الاقوال ، يردد ولا ملل : لكم ماديتكم ولي روحيتي، واصفاً بالمادية كل ما هو خلو منه ، واذا سئل عن روحيته هذه وما هي تحير وسكت ؟

روحيتنا الوهمية

ترى ! وما عساه ان يقول ؟ .

أيقول اننا روحيون لاننا قوم لانزال نؤمن بالارواح ، فلا نأتي عملا اونقطع امرا الا ربطناه باسباب غيبية ، ولا نجيل الطرف في حوادث العالم

واعمال البشر الا لمحنا وراءها اصابع خفية تهيمن على كل شيء وتتدخل في كل شيء وهي الشرح الوحيد في نظرنا لكل ما يصيبنا من نجاح او فشل ، من صحة او مرض ، من فضيلة او رذيلة ، من خير او شر ؟

او يقول اننا روحيون لاننا قوم نقنع بالقليل من خيرات هذه الدنيا، ونكتفي بما تيسر منها ، ولا نهتم كثيرا لما يأتي به الغد ، مؤمنين ان خير الحالات ما نحن عليه ، متوكلين على القدر وما كتب لنا ؟

ام تراه يقول اننا روحيون لاننا قوم نتأثر بالامور الخيالية ، وننفع وراء الاحلام الذهبية ، ونترك لعاطفتنا لا لعقلنا الحكم في ما نريد وفيما لا نريد ؟

كيف لنا ان نجعل من هذه المظاهر اسساً للروحية التي نتغنى بها، وهي دليل لا على روحية المجتمع الذي تبدو فيه ، بل على طفولته وتأخره الفكري ، وبرهان على انه لا يزال في العهد التيولوجي ، بحسب تعبير اوغست كونت ، ذلك العهد الذي تخطته البشرية الراقية منذ زمن بعيد واجتازت من بعده العهد الفلسفي الى ان بلغت مؤخرا العهد الوضعي الذي تسير فيه الان ؟

ماضينا الروحي

اجل ! لا اود القول ان اطلاقنا صفة الروحية على انفسنا مجرد توهم وادعاء . كلا ! فاننا نجد في تاريخنا مبررات كافية لهذه الروحية . ولكن ما اريد ان اقول ، وما ارغب في ان يشاركني شبابنا فيه ، هو ان هذه الروحية التي كانت تنافي الماضي قد فقدناها اليوم وانه من عوامل الجمود فينا استمرارنا على الاعتقاد باننا لا نزال روحيين بينا نحن اليوم ابعد ما يكون عن الروحية .

نعم لقد كنا روحيين ، يوم قام منا اناس حملوا للعالم رسالة روحية سامية وجادوا بكل ما لديهم حتى بدمائهم وارواحهم في سبيل تأدية تلك الرسالة ، الا هم الانبياء .

لقد كنا روحيين ، يوم ظهر بيننا اناس اعرضوا عن الحياة المادية، وانقطعوا عن الملاذ الحسية ، وانصرفوا الى الحياة الروحية . فاغلقوا على انفسهم باب العالم الخارجي ، وحيوا حياة داخلية غنية بالاختلاجات النفسية والشواعر الباطنية ، متسنمين ذروات الكمال على سلم من المقامات والاحوال ، حتى اصبحت انفسهم تضيء وان لم تمسها نار، وتكشف لهم ما لم تشاهده عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر ، واعني بهم جمهور الصوفيين والقديسين والاولياء .

لقد كنا روحيين، يوم سمونا الى اوج الحياة العقلية ، فكان لنا ادب ، وكان لنا علم ، وكان لنا فن ، وكان لنا فلسفة ، وكان لنا ، بكلمة واحدة ، حضارة عالية يحق لنا ان نفاخر بها الامم الاخرى .

حاضرنا المادي

اما اليوم فاين نحن من كل هذا ؟

اين نحن من الروحية النبوية ، وقد فقدنا الايمان باي رسالة روحية، ولم نعد نفهم معنى للتفاني والتضحية تبذل في سبيل فكرة مجردة او غاية سامية ، واصبحنا نعتبر شذوذا او جنوناً كل سعي يقوم به احدنا ولا نلمس وراءه منفعة مادية او غاية انانية ؟

اين نحن من الروحية الصوفية ، وقد اصبحنا لا يغرينا الا ما يحرك الحواس فينا ، ولم نعد نقوى على الانقطاع الى انفسنا ولو امدا قصيرا لنحيا تلك الحياة الداخلية الغنية بالاحساسات العميقة التي تعتري النفس في حالات التجرد والعزلة ؟ فكأن كل حواسنا وجميع قوانا النفسية موجهة الى الخارج السطحي مشغولة ببريقه عن اشراق الباطن العميق .

واخيرا اين ثقافتنا اليوم من ثقافتنا بالامس، ونحن في مؤخرة الشعوب الراقية علماً وفناً وادباً وفلسفة ؟ واين فينا ذلك العطش الشديد للمعرفة المجردة ، ذلك العطش الذي يخلق العلماء والفنانين والادباء والفلاسفة، ونحن لا نطلب المعرفة الا للمنفعة التي نتوخاها من ورائها ونستخف بكل من حدثته نفسه منا ان يطلب المعرفة لاجل المعرفة ؟

من الاكيد اذن ان مجتمعنا، بعد ان كان على درجة عالية من الروحية، اصبح ابعد ما يكون عنها .

*

ولكن قد يكون اطلاق حكم كهذا ، استنادا على اعتبارات عامة كهذه ، دون درس تفصيلي لمجمل حياتنا وبحث تحليلي لدوافع اعمالنا وتمحيص دقيق لعوامل سلوكنا ، ضرباً من التسرع ونوعاً من التهور . غير ان استقصاء هذا الموضوع وبحثه من الناحيتين الاساسيتين لحياتنا الاجتماعية ، الناحية القومية والناحية العائلية ، يقودنا ايضاً الى النتيجة عينها .

ماديتنا القومية

فنحن ماديون في حياتنا القومية ، لان الحس القومي مفقود لدينا . فنحن لا نشعر ، فوق شعورنا بوجودنا كافراد ، بوجود ذلك الكائن الروحي الاكبر الذي هو غير الافراد وغير المجموع العددي للافراد بل حقيقة كيانية حية نحن الاجزاء المتبدلة لكلها الثابت ، والذي يسمونه الامة . ولهذا السبب ترانا لا نشعر قط ، ونحن نقوم بالاعمال الموكولة الينا من قبل الامة ، بمسوءولية تجاه هذا الكائن الروحي الاكبر ، ولا يسيرنا في القيام بهذه الاعمال سوى فكرة مصلحتنا الخاصة وتأمينها تجاه الرؤساء الذين تتوقف هذه المصلحة على رضاهم او استيائهم .

اما مصلحة الامة ومصلحة المجموع ومصلحة البلاد فهي كلمات كثيراً ما نرددها الا انها خالية المعنى على لساننا عديمة التأثير في نوايانا . فمن منا ، اذا ما مرّ في حديقة عامة ، تجنب دوس عشبها واحجم عن قطف زهورها لمجرد كونها ملكاً للامة ومتعة لابنائها؟ ومن منا ، اذا ما دخل مكتبة وطنية ، تحاشى افساد كتاب من كتبها لمجرد كون هذا الكتاب يخص الامة ويفيد ابناء الامة ؟ بل من منا، في هذه الايام القاسية علينا وعلى العالم اجمع ، يتهيب من احتكار مادة من المواد الاساسية للحياة لمجرد كون هذا الاحتكار سبباً لبوس ابناء الامة او هلاكهم ؟ نعم لا يخلو بلد من بلاد العالم من المحتكرين . لكن بينا المحتكرون في اكثر بلاد العالم لا يتعدون فئة معينة من الناس اتخذت هذا النوع من العمل مهنة لها ، وبينا هم يعتبرون انفسهم ويعتبرهم الناس مجرمين ،خارجين على الامة ، ترانا كلنا تقريباً مؤهلين لهذا العمل ، ولا يمر ببالنا ، اذ نقوم

به ، إننا انما نقترف جريمة كبرى ، جريمة الخروج على الامة .

وما رأيكم بموقفنا من القيم القومية ، من الكرامة القوميـة ، من الاستقلال القومي ، من الحرية القومية ، من الاستقلال القومي ، من الحرية القومية ؟ انها كلها مجرد الفاظ نتغنى بها وليس لها في انفسنا صدى فعال او رنة محركة ، يستخدمها ذوو المطامع السياسية للوصول لمآربهم الشخصية ويتركونها امام الباب اذ يعبرونه .

فعملنا القومي خال اذن من كل هدف روحي يحييه او غاية سامية ترفعه عن مستوى الانانية النفعية المادية . ومعنى هذا ، بكلمة اخرى ، ان لا حياة قومية لنا . فنحن اذن ماديون من هذه الناحية .

ماديتنا العائلية

ونحن ماديون ايضاً في حياتنا العائلية . فالزواج عندنـا ، وان كان أهم مشاريعنا على الاطلاق ، نحتاط له احتياطاً لا نبذله في سبيـل اي مشروع سواه ، فهو يبقى بالحقيقة مشروعاً مادياً محضاً . وليس اهتمامنا به هذه الاهتمام الزائد دليلا على نظرتنا الروحية اليه بـل نتيجة لكونه في نظرنا المشروع الذي تتوقف عليه حياتنا المادية بكاملها . فهو الواسطة الكبرى لسد حاجاتنا الجسدية الملحة ، وللمحافظة على نسلنا ، وللاستقرار مركزنا الاجتماعي ، ولتسهيل معيشتنا وترفيهها وحسب . ولهـذا كانت الاعتبارات المادية أهم ما يسيرنا في انتخاب الرفيق الزوجي .

فأن تكون الفتاة جميلة الجسد ، وان تكون طائلة الثروة ، وان تكون من عائلة يمكن الاستعانة باعضائها في المصاعب ، وان تكون صالحة للاعمال المنزلية ، لينة العريكة سهلة الانقياد ، هذا أهم ما يتطلبه الشاب من رفيقة حياته .

اما هي ، فمطلبها الاول ان يكون غنياً ، ومطلبها الثاني ان يكون غنياً ايضاً ، ومطلبها الثالث ان يكون غنيـاً ايضا وايضا . ولا يُظن انني مبالغ في هذه النقطة الاخيرة . فلو تقدم لاحدى فتياتنا طالبا زواج : الواحد قيمته بثروته ، والثاني عيبه الاوحد قلة ماله ، فمن من الاثنين تنتقي فتاتنا ؟ وان احتجت احدى قارئاتي الفتيات على الجواب الذي لفظه كل منا في قلبه ، وقالت في نفسها : انني لفضّلت قليل المال ، لسألتها : من منا ، اذا ما سمع اعتراضها ، لا يهز الرأس ويقول : انهـا لا تعرف مصلحتها ؟ وهذه العبـارة أبلغ مختصر للاعتبارات المادية التي تحدد موقفنا من الزواج .

أما الاهتمام بالصفات الخلقية ، وبالتناسب الطبعي ، وبالتقارب العاطفي ، وبالتمازج النفسي ، وبالتفاهم الفكري ، اعني الاهتمام بتلك العناصر التي تجعل من الزواج شركة روحية ، وتخلق فيه الجو الصالح لبلوغ درجة من الكمال لا تتيسر الا ضمن هذه الشركة الروحية الاثنينيـة ، فهذا أمر قلّ ما نعنى به .

وبالواقع ، ما الحاجة الى مثل هذه العناصر في حياة عائلية لا تتعدى العلاقات الزوجية فيها العلاقة الجنسية ولا تتسع لاكثر من تبادل مادي لمصالح مادية : خدمة المرأة للرجل وتهيئة اسباب الراحة والرفاهية له ، واهتمام الرجل بتأمين معاش البيت وحاجيات افراده ؟

اما السعي المتواصل ، عند كل من الزوجين ، لتغذية النفس وتنمية الشخصية عن طريق البحث المناقش والقراءة المشروحة وتبادل ما يوحيه الاختبار الشخصي في الحياة من آراء وافكار وعبر ،

اما السعي المتواصل للتوغل في نفسية بعضها بعضاً واكتشاف ما يجول فيها من افكار وصور ، وما يعتريها من اختلاجات واحساسات ، وما يشغلها من مشاكل واسئلة ، حتى يتسنى للواحد فهم الآخر ، وتكييف خلقه على خلقه ، ومشاطرته آلامه وافراحه ، ومساعدته على حل صعوباته وتبديد همومه ، والاشتراك معه في آماله واحلامه وسعيه لتحقيـق تلك الامال والاحلام ؟

أما السعي المشترك للتفاهم على المثال الذي يرغب الزوجان في تحقيقه ، في اولادهما وللاتفاق على الطرق التربوية التي تقود الى تحقيق ذلك المثال وللمساهمة الفعلية من قبل الزوجين معاً في العمل لاجل ذلك ؟

أما السعي المشترك لتوطيد الحياة العائلية على مبادىء معينة ، دينيـة وأخلاقية وقومية ، ينشأ الاولاد في جوها ويتغذون من حرارتها ،

كل هذه العناصر ايضاً ، التي تجعل من الحياة العائلية مؤسسة روحية مفقودة في حياتنا العائلية فقداناً تاماً ، ونحن لا نسعى الى ادخالها فيهـا ، لا بل لا نشعر بضرورة اقامتها هدفا لحياتنا العائلية . فهل نشك بعد هذا من اننا في الناحيتين الاساسيتين لحياتنا، الناحية القومية والناحية العائلية ، ماديون ايضا ، لا بل غائصون في بحر من المادية ثقيل ، لا تتقلب على سطحه موجـة من امواج الروح ؟

الفكرة التقدمية الولودة

فعلينا اذن ان نحل الفكرة الجلية القائلة بروحيتنا في الماضي وبماديتنا اليوم محل تلك الفكرة الغامضة المسيطرة على عقولنا والقائلة بروحيتنا على الاطلاق دون تمييز ولا تعيين . وباحلالنا تلك الفكرة الجلية محل هذه الفكرة الغامضة نتلخص من فكرة تأخرية عقيمة لنتمسك بفكرة تقدمية ولودة . اذ القول بروحيتنا في الماضي دليل قاطع على قابليتنـا لظهور الروحية فينا من جديد والقول بفقداننا هذه الروحية في الحاضر حافز قوي لنا على بعثها فينا ثانية .

فنحن روحيون لكن بالقوة لا بالفعل ، وروحيتنا انما هي في القوى الكامنة في اعماق نفسيتنا والتي تنتظر ان نكتشفها وننميها .

روحيتنا المقبلة

بيد انه علينا ، ونحن نسعى لاكتشاف تلك القوى الكامنة فينا ، ان نعلم ان الروحية الجديدة التي ستنشأ عن هذه القوى حين تفتحها ، ستكون مختلفة، لاختلاف الزمن وانقلاب الاوضاع ،عن تلك الروحية القديمة التي كانت لنا في الماضي ، وان اصحاب الرسالات والصوفيين ورجال الفكر العباقرة الذين بدأت امتنا تتمخض بهم سيكونون ، ولا شك، اصحاب رسالات وصوفيين ورجال فكر عباقرة ، لكن من طراز جديد .

كريم عزقول

سلسلة ذكريات الطفولة

قلب موزع

بقلم الآنسة فلك طرزي

◆

ترى ما الذي كان يحملها على التساؤل عما تنطوي عليه ظواهر الكلمات التي كانت تسمعها من بعض الذين حولها ؟ لقد كان من اهم شواغلها ان تتبع حركات الوجه عندما تصغي الى متكلم أو الى صامت يتكلم ، لانها ادركت بالحدس ان ملامحه تتحدث احياناً — فاذا بحديثها افصح اشارة واصدق لغة من لغة اللسان واشارته ، ولذا فهي تعتمد على تأمل الوجوه والتفرس في معانيها لمعرفة ما تضمر النفس ، وما يتضمن كلامها من مقدار الصحة وغير الصحة . ومن هنا نشأ تشككها بل ارتيابها من اقوال معظم الناس على اختلاف انواع هذه الاقوال ، وعلى اختلاف قائليها . ارتابت من امر الدنيا وارتابت من امر الناس ، لانهم لا يصدقون الاطفال ، ولا يحترمون شعور الكرامة فيهم . فشككت في عواطف اخلص الناس بل اقربهم اليها ، لانها ادركت منذ الصغر ان القلب البشري في تحول وتقلب ، وان الثبات على عاطفة ، او مثل من المثل العليا ، يعوزه قلب كبير ذو مدى يسع الانسانية بضيقها وسعتها .

اكتشفت من امر القلب البشري ما اكتشفته ، وهي ما زالت في السن التي لا تعرف النفس من امور الدنيا غير اللعب واللهو ، وعرفت من امرها ما عرفت . فهالها ذلك وروعها ، وشعرت بان الدنيا مجموعة اسرار والغاز ، يحاول كل امرىء عبثاً الكشف عنها : كل هذه الافكار كانت تدور في نفسها الطفلة ، بصورة مبهمة غامضة ، لا تدري كيف تحل هذا الغموض والابهام عنها ، ولا تدرى كيف تخلص من العذاب الذي يسببه لها الحاحها عليها . كانت تجيش فيها ان مشت وان قعدت ، وان جلست على الطعام ، بل كانت لا تريحها من دأبها حتى ساعة النوم حيث تزداد عنفاً والحاحاً . فمن يخلصها منها ؟ ومن ينجيها من الحاحها ؟

اهي الوحدة ، والوحدة تزيدها تشبثاً والحاحاً ؟ أهي مصاحبة الفتيات ومحادثتهن ، ووجودها بينهن يغذيها ، ويفسح امامها مجالا للجولان والدوران ؟ اذن هلا من مهرب ؟ كلا .. يجيبها ابداً هاتف من اعماق الوجدان .. كلا .. لا مهرب من صوت النفس . لا مهرب من صوت الضمير .. ولا مهرب من الصوت الذي يلح في طلب المعرفة ، الذي يبحث عن الحقيقة .

وكان ايضاً من اهم شواغلها امنية لو تحققت ، لذهب عنها كل شك ، ولتبدد كل ارتياب . تمنت لو ان مغالق جميع القلوب والاشياء التي من حولها تتفتح يوماً ، لترى ما يختفي وراءها من اشياء ، وتتبين العوامل التي تسبب اختلاف الاوضاع في الحياة ، فتعرف لم هنالك شيء يدعى خيراً وشيء يدعى شراً ، ولمَ هنالك وضع يسمى غنى ووضع اخر يسمى فقراً .. بل هنالك اشخاص تنجذب اليهم وهي لا تدري سر هذا الانجذاب ، فلا تجد نفسها الا وقد اختفى وجهها ، بل هذه الكتلة الصغيرة التي منها ذاتها ، في صدورهم ، لكي تضحك او تبكي ، ولكي تصمت او تتكلم . ولم هنالك اشخاص لا تنفر من رؤياهم فحسب ، بل من ذكر اسمائهم ، فاذا سمعتها هرولت بعيداً خشية من ان يتحول توهمها بوجودهم كلما ذكروا ، الى حقيقة ؟ وهكذا تنقضي ايامها بل لياليها في التأمل والتفكير ومحاولة اختراق صميم كل شيء على قدر ما يتيح لها ادراكها الفتي من مقدار النفاذ والتفكير ، بل كثيراً ما كانت تشبه القلوب بالنجوم فتتخيلها براقة في الصدور تهدى خطواتها حيناً وتضلها احياناً .

اكتشفت هذا الامر في ليلة اصطحبتها امها لتلبية دعوة الى العشاء ، وكان المنزل التي تقام فيه الدعوة ذا منظر شيق انيق ، قد بني على شاكلة « فيللا » تحيط به حديقة نسقت اجمل تنسيق ،

وزينت بانواع الزهر والشجر، تتخلل جوانبها الدروب التي صقلت بالرمل الاملس الناعم، والماشي التي تحف بها اجناس عديدة من الزنبق والورود . ومن عجيب امر الفتاة — ولنسمها ناديا — انها كانت تحب مجالسة الناس على رغم نفورها من الناس . وتحب الاجتماع بهم لاستماع احاديثهم على رغم تشككها من صدق ما يقولون، بل كانت تجد لذة وغبطة، ان تسنى لها مشاركتهم في الحديث . لكن المنزل كان غاصاً بالمدعوين في ذلك المساء، وهذا الامر حرمها من الاختلاط بهم، لان صاحبة الدعوة هيأت للفتيات اللواتي في سنها او في سن تقرب منها، مائدة في الحديقة رصعت الخميلة التي تظللها بامبات النور ذات الالوان المشعشعة، وكان الخدم يروحون ويغدون في الحديقة، تارة حاملين باقات الزهر، فتنطلق الفتيات نحوهم، ويخطفن الزهور من ايديهم، ويأخذن في تنسيقها وتجميل المائدة بها، وتارة اخرى كانوا يدخلون المنزل ثم يعودون حاملين اكداس الصحون والشوك والسكاكين، فتتراكض الفتيات ايضاً نحوهم، مغتبطات فرحات يملأن الجو بضحكهن واغاريدهن، ويختطفن الصحون من ايديهم، ويأخذن في صفها على المائدة وترتيب الاواني وادوات الاكل حولها . فاي ضوضاء قد احدثنه في تلك الليلة، واي مرح كان ينبعث منهن، فيفعم المكان كله بنغمات السرور الصافي الذي لا تشوبه كلفة ولا رياء. وانها لتتذكر كيف من ضحكهن كان يتصاعد رنين يشبه الفضة ويشبه رنين المياه وبعضها يتكسر فوق بعض . ما اعذبها كانت ساعة، وحفيف اثواب رفيقاتها كان يختلط وحفيف الشجر، فيؤلفان نغماً في خفوته وهدوئه سحر عاد بفتاتنا الى التأمل والتفكير . فما كادت تستقر في الناحية المظلمة من الحديقة لتسترسل الى تأملاتها حتى سمعت من حولها اصواتاً تؤنبها، وتسألها وتعاتبها، وشعرت بنعومة الحرير تلامسها، وبالايدي تنهض بها وتقودها الى حيث المائدة وتجلسها في المكان الذي يتوسطها . وجاء الخدم بالبسة الفراك يحملون اطباق الطعام، وينحنون امام كل فتاة ويأخذون في توزيعه في الصحون، فاذا انتهوا من عملهم هذا، وقف اثنان منهم خلف المائدة وذهب البقية . وكانت شرفة الطبقة المرتفعة، من الفيلا قائمة قبال المكان الذي جلست فيه ناديا . فكانت تلمح بين حين وحين، جانباً من وجوه المدعوين، وطرفاً من لباسهم، عندما كانوا يقتربون من الشرفة، جمعاً بعد جمع، بل كانت مقاطع من كلامهم تبلغ سمعها اذا تحدثوا وهم يقطعون بهو المنزل جيئة وذهاباً، ولكن ها هو ذا نظرها يعلق باثنين قد اقتربا من الشرفة ولم يعرضا عنها بل خرجا اليها ووقفا في الظلام صامتين . غير ان هذا الصمت لم يطل، اذ سمعت ناديا صوتاً يشبه الليل لا في ظلمته بل في روعته وعمقه، ينادي الشخص الاخر قائلا : اشاعر انت بعذوبة الليل يا فخري ؟ فاذا سمع صاحبها السؤال التفت نحوها واجابها بصوت اختلج فيه رنين الرجولة ونبرات حزمها وحنانها اجل ايتها العزيزة. ان شعوري بهذه العذوبة يزدادلا، بل يتضاعف لان بجانبي من تتمثل فيها عذوبة الحياة وسعادتها و ... و ... ولا ادري ما اقول .. لقد ارتبكت واربكني سحرك . فاذا سمعت رفيقته هذا الاعتراف ارسلت ضحكة منغمة، ورفعت نظرها تحدق بالنجوم، ثم التفتت اليه وقالت . « او ما زلت يا فخري بارعاً في مغازلة النساء وخدعهن، وهدم كل مقاومة فيهن بالكلمات التي تحسن اختيارها ؟ وكأن كلامها أثر في نفسه، وعز عليه ان لا تصدق قوله تلك التي يحرص على ودادها، فاقترب منها حتى كاد يلاصقها وامسك يدها وضغط عليها، واخذ يقول بصوت تقطعه نبرات التأثر : « انا صادق يا وداد فيما اقول وليس في نيتي خداعك . أفلا تصدقين ؟ بالله قولي كلمة واحدة من هاتين الشفتين تحمل لقلبي السكينة والامان . افلا تجيبين تضرعي ؟ » واخذ ينظر اليها بتوسل وتلهف، كأنه مدنف عليل، يرقب الدواء من ذلك الفم المبتسم، وتينك النظرات، لكنها اكتفت بان ضغطت على يده، واشارت بالاخرى الى حيث المدعوين، والى حيث المائدة تنتظرها، فتبعها محزونا، ثم اختفيا .

وعادت ناديا الى رفيقاتها، تشاركهن الاكل والحديث، فاذا بهن يعاتبنها ايضاً على تغيبها عنهن وعلى استرسالها الى احلامها وخيالاتها بينما هن استرسلن في سرد قصص المعلمة التي كان ضحكهن ينفجر انفجاراً لمجرد ذكرها وذكر حوادثها واخبارها.

ولكن ها هو زوج آخر يدنو من الشرفة، ويخرج اليها : ثوب ازرق مهفهف شفاف، وبذة انيقة سوداء وها هي ذي صاحبة الثوب الازرق، تعتمد بذراعها على المسند الحديدي، ثم تخرج من حقيبتها منديلاً فاضت منه رائحة مغرية تدغدغ الشم وتنفذ الى الصميم . وها هو صاحب البذة السوداء . يرسل زفرة عميقة، كأنه يريد بها فتح جوارحه لتخترق الرائحة اعماقه .. وها هوذا يميل برأسه نحوها ويقول : « او ما زلت يا سارقة القلوب، تجيدين بل

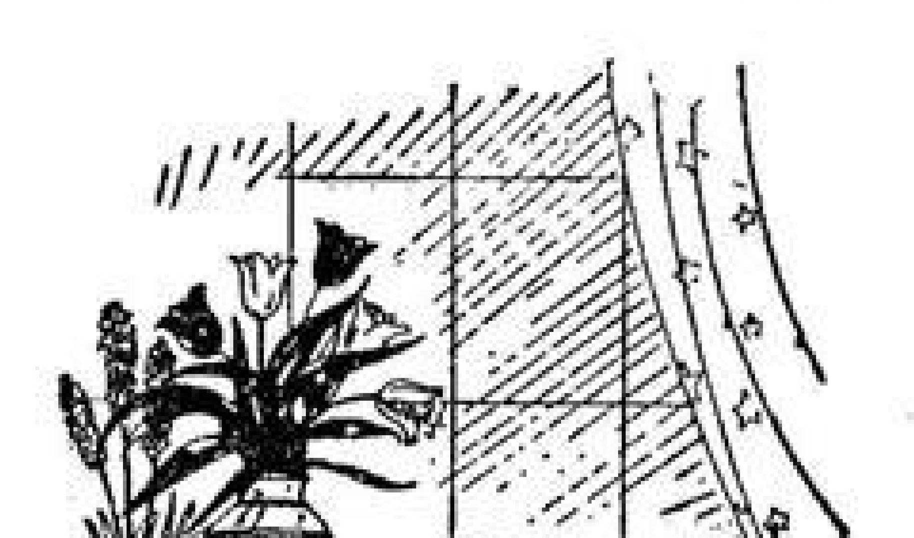
تبرعين في تأدية هذه المهمة » ولكن هذا الصوت .. وهذا الرنين الذي تتمثل فيه الرجولة ونبرات حزمها وحنانها .. انها تعرفه .. فهو نفسه الذي كان منذ لحظات يشكو ويبوح ويتضرع ، ورفيقته الان ليست رفيقة اللحظات المواضي ، هي ليست وداد ! اجل هي غيرها ، تلك التي تضحك عابثة مستهترة ، وتلوح بمنديلها على وجهه لكي تضاعف سلطان سحرها واغرائها . وشخصت الفتاة اليهما كأن تياراً مغنطيسياً ينبعث منهما اليها ويجذب عينيها الى حيث كانا واقفين فرأت الرجل يدنو من صاحبته ويحاول ان يهمس في اذنها شيئاً ، غير انها ابتعدت عنه بدلال واستندت على ركن الشرفة وانبعثت تضحك تارة وتكلمه اخرى وتخالط مرة بالكلام ، فغاظه ان يراها على هذه الحال من الغنج والسخرية ، فاقترب منها وقبض بقوة على ذراعيها واخذ يحدثها بلهجة فيها عنف وفيها توسل ، ثم سار نحو مؤخرة الشرفة واختفيا في الظلام !.

***

الشابة اليوم تذكر كيف تملك الذهول الفتاة الامس عند سماعها ما سمعته ومشاهدتها ما شاهدت وكيف اضطرب امامها منظر رفيقاتها ثم تشوش حتى تحولن اشباحاً ما لبثت ان ولت واختفت وحل مكانها شبح الرجل بين المرأتين يغازل هذه ويلاطف تلك ويلبس خداعه ابهى حال اللباقة ! وتذكر ايضاً كيف كادت تصرخ في هذه اللحظة من شدة الغيظ الذي ضيق عليها النفس . ان هنالك فترة يقظة تمر على الاحداث وهم بعد في سن مبكرة توقظ عواطفهم وحواسهم ثم لا تلبث ان تتلاشى فتعود نفس الحدث الى سابق غفلتها ، حتى تحركها فيه ثانية ، بل تنميها حوادث الحياة وتجاربها .

وعلى رغم الفاصل الزمني الذي يبعدها عن تلك الليلة فما لا تستطيع نسيانه هو الاثر الذي انطبع فيها عن القلب البشري ، اذ ان هذه الفترة الخطرة من العمر قد علمتها ان الصدق فيه يكمن بجانب الكذب ، والخير قد ينبت بجانب الشر ، والاخلاص يتخذ غالب الاحيان ستاراً يتشفع به الخداع .

دمشق — فلك طرزي



من الادارة

١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ٠ ل. عوضاً عن ٤٠

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدوءها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — الاشتراك في الخارج على نوعين :

(١) جنيه مصري للخارج عموماً . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

(٢) ٧٥ قرشاً في فلسطين والولايات المتحدة — و٦٠ قرشاً لباقي الجهات — وهذا الاشتراك لا يعطي صاحبه الحق في منشورات الاديب

٤ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٥ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

٦ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد ٨٧٨ بيروت — لبنان

اغــــوار

الى الشاعر بشر فارس

◆

تمرين بي اين طيبُ الهوى العتيق سا.لتك لاتكذبي
على مقلتيك من الامس جرحٌ ابحُ ونجوى غرام صبي
فلو كان لي منك وهمُ الذي اود قنعتُ ولم ارغبِ
اعيشُ وحيداً على شاطيء توشح بالهاجس المخصبِ
يلونه الفجر بالاخضر الرحيب وبالازرق الارحبِ
ويشدو له الحلم اغنية الشرود بجو الوجود الغبي
اراني عليه اسير الى الله في فكرة بعد لم تعشب
يحف به الموج يلوى عليه ويرتد دون الخفيف الابي
ويغرق في الشمس اعمق غورا من الشمس في جوها المتعب
فالقي بنفسي احتضار الضياء الكئيب على راحة المغرب

...

افتش عنك واغفو واصحو واسكر في خاطر المطلب
وتنشق عيناي عن عالم عجيب وعن هاجسٍ اعجب
على قدمي طيفك المرتمي ذهولا على طلة الغيهب
عصورٌ تموت واسطورةٌ على الدهر مخضلةُ الملعب

صلاح الاسير

●

وفاة الامام ابن تيمية في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية

في ذلك اليوم نعى المؤذن بمنارة القلعة شيخ الاسلام ابن تيمية وتناقل نداء ذلك الحراس على ابراجها فأذاعته المآذن من الجوامع والمساجد الاخرى فاصبح الناس في اليوم التالي وقد سرى هذا النبأ بينهم وغمرت المدينة موجة حزن واسف عندما سمعوا بنبأ هذا الخطب الجسيم الذي اصابهم بفقدان العالم الامام المجاهد الفقيه الحافظ الزاهد العابد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين ابى العباس احمد ابن تيمية .

وكان الشيخ محبوساً بالقلعة التي امر نائبها بفتح ابوابها وجلس في حجرة الوفاة يتقبل المعزين وقد اجتمع بها خلق من اصحاب الشيخ ورجال الدولة وغيرهم من اعيان البلد . اما جماهير الشعب فقد احاطت بالقلعة واتت اليها من احياء الصالحية ومن جهات الغوطة والمرج بعد ان اقفلت المدينة اسواقها .

ويطنب المؤرخون في وصف ذلك اليوم وكيف تلقى الناس اخباره وكيف ساروا في جنازة الشيخ بعشرات الآلاف وكيف اقتحموا باب القلعة ودخلوا زرافـات على الشيخ يقبلون وجهه وكيف امتلأت ارجاء قلعة دمشق وضج الناس بالبكاء والنحيب عليه والثناء والدعاء والترحم له . فقالوا ان يوم جنـازة ابن تيمية كان يوماً مشهوداً لم تر مثله دمشق في تاريخها الا ان يكون ذلك في ايام بني امية حينما كانت قلب العالم المتمدين .

ولما اريد الصلاة عليه بجامع امية خفت الجماعات اليه حتى امتلأت الرحبات والصحن وجيء بالجند لحراسة النعش ولما صلي عليه صاح صائح بقوله : « هكذا تكون جنائز اهل السنة » وخرجت جنازته من باب الجامع الى مقابر الصوفية مارة بباب الفراديس وباب النصر وباب الجابية والقوم حولها خاشعون .

من هذا الشيخ الذي ارتجّت له الشام باسرها ونعته مآذن مصر واقيمت له كبرى جنائز اهل السنة بدمشق ورفعته الجماعات الى مصاف الابطال رغم كونه سجين السلطة الحاكمة ؟ ومن القى الناس المناديل والعمائم على نعشه ؟ ومن كانت تخشاه الدولة في الشام ومصر والذي مات وعلى رأسه عمامة بيضاء بعذب مغروزة وقد علا بعض رأسه الشيب ؟

من هذا الذي فاضت روحه وقد تمتمت شفتيه بالآية الكريمة (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكانت نهاية ثمانين ختمة لكتاب الله بدأها عند دخوله المعتقل ودخل الحادية والثمانين فاسلم الروح وهو يتلو هذه الآية الكريمة ؟

لا شك في انه من اولئك الذين بذلوا انفسهم في سبيل الله والدعوة الى الله والعمل بما امر به الله : هو صاحب دعوة قام بها مخلصاً وجه لله وحده . امامذهبه واراؤه ولسنانعرض لها فان ما كتب فيها كثيرولله الحمد وهو متداول ومعروف ، ولكنا نعرض لهذه الشخصية الانسانية الفذة التي جمعت من الصفات والمزايا ما يضعها في مصاف عظماء الرجال من كل عصر .

كان ابن تيمية شخصية فيها من الايمان والقوة والاخلاص والجرأة والصلابة في الحق ما يجعله عالماً وحده . كان ابن تيمية صاحب رسالة من اولئك الذين بعثوا لينشروا بين الناس تعاليم وافكار ومبادىء تهدم القديم الرث البالي وتصور لهم المتناقضات السائدة في اوساطهم وتدعوهم الى كلمة سواء ثم ترسم لهم قيماً جديدة اخذها الشيخ من كتاب الله وسنة رسوله وهديه والعودة الى السلف الصـالح الذي كانت ترتجف لعزائمه الدنيا . واتخذ له نبراساً لا يحيد عنه هو تصفية العقيدة وتوجيهها الى التوحيد والخضوع للذات السرمدية الاحدية التي تسيطر على هذا الكون وتقوده الى الخير الصرف .

ان تعاليم ابن تيمية خالدة بين الناس وهي لا تزال تشغلهم وسوف تشغلهم في المستقبل القريب والبعيد ولكن شخصيته وعمله وبطولته امور لاتزال مخفية عن الكثيرين . ولذلك سنحاول ان نعرض لبعض نواحيها ويسعدني ان اكون قد اديت بعض الدين لصاحبها ولمدينة دمشق التي ضمت رفاته ولها في قلبي ونفسي اروع واسمى مكان .

ودمشق اذا افتخرت بتاريخها الخالد وايامها الغر وآثارها التي تحج، من مصر وغيرها لرؤيتها، واذا افتخرت بدولها ورجالها وابطالها، فمن حقها ان تفخر بابنها البار الامام ابن تيمية الذي عرض حياته للموت من اجلها والذي جاهد اكمل الجهاد وذاق مرارة السجن وتحمل كيد الكائدين فهو جدير بان تقام باسمه مدرسة او ينشأ باسمه ميدان وان يفرغ لذكراه يوم او بعض يوم .

ابن تيمية المجاهد المرابط ضد التتار

يموج وسط عجيج الناس في دهش ... من نبأة قد سرى في الحي ساريها (من عمرية حافظ)

كانت بسنة ٦٩٩ هجرية سنة مهولة على البلاد اذ قصد التتار تحت قيادة قازان الاراضي الشامية ولم يكن هناك بيبرس ولا قلاوون ليحميها او ليخلق من الهزيمة نصراً كما حدث قبل ذلك في عين جالوت او مرج حمص .

كان التتار يغزون وهم على دين ابائهم ، اما هذا العام فقد جاؤا واسم سلطانهم محمود وهم يظهرون الاسلام ومعهم المؤذن والشيخ والامام ليؤمهم في اوقات الصلاة .

جاءوا الشام وقد اختل امر مصر والشام وانضم فريق من امراء البلاد اليهم فسلمهم الجزء الشمالي من سوريا بغير قتال .

وصلوا النبك واحتلوا القطيفة وانكفأ جيش مصر والشام الى البقاع وبعلبك وفتحت دمشق ابوابها ، ما عدا قلعتها العتيدة التي ابت ان تستسلم . وكان ابن تيمية في التاسعة والثلاثين من عمره في حركة دائمة لا يستقر ولا يهدأ لم يقبل ان تترك دمشق بغير امن ، فذهب مع اعيان البلد وقابلوا عاهل التتار واحتج عليه قائلاً :

انت تزعم انك مسلم ، فلماذا اتيت الينا غازيا ؟ وانت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت . واشتد اللجاج بينه وبين قازان وقطلوشاه وبولاي . كانت مواقف ابن تيمية لله وحده ولم يخش الا الله عز وجل . واتوا للوفد بطعام فاكلوا منه الا ابن تيمية فقيل له : الا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من اغنام الناس وطبختموه مما قطعتم من اشجار الناس ؟

قيل ، وطلب اليه عاهل التتار الدعاء فقال في دعائه : « اللهم ان كان عبدك محمود هذا انما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وايده وملكه العباد ، وان قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام واهله فأخذله وزلزله ودمره وأقطع دابره . » قال هذا وقازان يؤمن على كلامه . ولما خرج الوفد من حضرة العاهل التتري التفت بعضهم اليه قائلاً : كدت ان تهلكنا وتهلك نفسك . والله لا نصحبك من هنا . » والغريب في امره بعد هذا ان يتبرك به جند التتار ويلوذوا به فيدخل دمشق وفي ركابه ثلاثمائة منهم . كان وقتاً شديداً على الناس فتحت فيه السجون وخرج منها الاشرار ينهبون ، وامتلأت القرى بالجنود وكثرت المصادرات وراجت الاراجيف والاشاعات ، كل هذا والشيخ لا يهدأ يرأس الوفود ويفك الاسرى ويواسي المرضى .

وفي يوم من الايام رحل جند التتار عن البلاد وانسحبوا الى عقبة دمر ومنها غادروا نهائياً المدينة تاركين بها احد الامراء الذين انضموا اليهم نائباً عنهم ، كل هذا والقلعة صامدة وابن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

واخيراً انكشفت الغمة بقدوم عسكر مصر وفتح لهم باب الفرج مضافاً اليه باب النصر وجاء عسكر الشام وعلى رأسه نائب دمشق جمال الدين الافرم وكان دخولهم في تجمل زائد الوصف .

ابن تيمية يلازم عسكر الشام في تنقلاته

نفخت روح الجهاد في نفسه نشاطاً جعله يختلف عن غيره من شيوخ عصره . فهو بمجرد عودة عسكر دمشق لا يتركهم بل يلازمهم في تنقلاتهم ، وفي ركابه خلق من اهل حوران ، يدعو الى الهدى . فمر ببعلبك والبقاع وجبال الجرد والكسروان يخطب ويهدي فتاب كثيرون على يديه وحسن معتقدهم ، وكان كثيرون لا يحرّمون ما حرم الله ورسوله . وحينما عاد امير دمشق وقد رأى من عمل الشيخ وفتوته ما رأى وامر لاول مرة ان يتعلم الفقهاء الرمي بالنشاب وان يستعدوا بتعلم الفروسية وطرق القتال المختلفة ليواجهوا العدو ان حضر ، ولا ريب في ان للشيخ يداً في ذلك الرأي السديد .

الشيخ يعمل والخطر على الابواب

لم يكن ثبات القلعة بدمشق وعودة الجند ليزيل القلق من النفوس . فقد اقسم عاهل التتار هذه المرة ان يملك الشام ويفتح مصر عنوة

وملأ الدنيا باشاعاته والناس اشد ما يكون ذعراً، كل هذا وابن تيمية لا يبالي : يقعد بمجلسه كالعادة في الجامع يحرّض الناس كل يوم على القتال ويسوق الايات والاحاديث الواردة في هذا المعنى ويحرّم الفرار ويرغب الناس في انفاق الاموال وان ما ينفق في الهجرة اذا انفق في سبيل الله كان خيراً ٠

اضطرت السلطات ازاء هذه الهجرة المستمرة نحو مصر والكرك والشوبك ان تمنع الخروج بغير ترخيص خاص وكانت الانباء قد وصلت بوصول التتار الى الشمال مرة اخرى وبتراجع جند المالك الحلبية ثم نزلت الامطار فاعاقت السير الى الجنوب والى الشمال ٠

موقف الجرأة والشجاعة والاخلاص

كان موقفاً رائعاً فذاً في التاريخ ، اقرأه ونفس تضطرب ،حينما خرج الشيخ في صباح السبت من مستهل جمادى الاولى سنة ٧٠٠ هجرية وقابل نائب الشام بالمرج فواجه الجنود وثبتهم وقوى جاشهم وطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر والظفر على الاعداء وتلا قوله « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله غفور رحيم» ٠

وبات ليلته وسط العسكر والكل يحيون هذه الروح التي وضعوا آمالهم فيها ٠ اتدري ماذا يطلب منه امير الشام ونائب السلطنة فيها ؟ يطلب اليه ان يركب على البريد الى مصر ليستحث السلطان على المجيء اليهم ويسوق الشيخ على خيل البريد الى القاهرة وهو اينما يحل يستحث الناس الى المبادرة٠

اقام الشيخ في قلعة مصر ثمانية ايام وقد اجتمع بالسلطان والوزير واعيان الدولة فاجابوه الى الخروج وكان فيما قاله لهم « ان كنتم اعرضتم عن الشام وحمايته اقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ٠ لو انكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم اهله وجب عليكم نصره ، فكيف وانتم حكامه وسلاطينه وانتم مسئولون عنه؟»

ثم عاد كما اتى على البريد من مصر وقد ادّى امانته ونفخ في النفوس روحا للكفاح جديدة ٠

معركة فاصلة على ضواحي دمشق

استمر المد والجزر بين الفريقين والرسل تتوالى الى ان دخلت سنة ٧٠٢ هجرية وقد قدم جيش مصر وعلى رأسه الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وزحف التتار من جهتين من الشمال فوصلوا الى البقاع واحتلوا بعلبك، ومن الشرق وصلت طلائعهم الى القريتين ، كل هذا والتتار لا يعلمون بقدوم السلطان من مصر ولما وصل دمشق قرّر ان يكون المصاف في جنوب دمشق بقرية شقحب واتم التعبئة والحشود ومشى السلطان والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشوقون الى الجنة ٠

في هذا الموقف العصيب يقوم الطابور الخامس بدعايته فيقول كيف تحاربون قوماً اسلموا وهم اخوان لكم؟ وهنا برز الشيخ بقوته ومضاء ، فكره فالهمه المولى هذه العبارة « هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ وعلى معاوية ورأوا انهم احق بالامر منهما ٠ وهؤلاء يزعمون انهم احق باقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على الناس ما هم فيه من المعاصي والظلم، ولكنهم متلبسون بما هو اعظم منه باضعاف مضاعفة ٠والله لو رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني٠» فقويت النفوس وانقطعت دعاية الضلال ٠ فلما تم الترتيب اخذت كراديس التتار تزحف كقطع الليل والتحم القتال على طول الجبهة قتالا هائلا رائعاً بيعت فيه النفوس بغير حساب، كل هذا والجاشنكير يسيطر على المعركة بجند مصر والشام ٠ وهنا مال قطلوشاه القائد التتري الى جبل قريب ونظر الى السهل والجبال المحيطة فاذا الميسرة السلطانية ثابتة لاتتزعزع والاعلام خافقة وجيء اليه باحد الاسرى فسأله : من انت؟ فقال : من امراء مصر: فعلم بانه قد خسر المعركة ٠

معركة فاصلة دامت اربعة ايام اظهرت فن القيادة والتعبئة الفائقة لدى القواد المصريين والشوام واختتمت بالنصر الباهر الذي نفخ فيه ابن تيمية من روحه ٠

وقبل اختتامها حاول قطلوشاه للمرة الاخيرة ان يجازف يائساً فقذف بما بقي لديه فرساناً ومشاة وقد ترجل الخيالة فلقيتهم المماليك السلطانية من البرجية بسور من الفولاذ مزّقهم شر ممزق وحلت بهم الهزيمة فانتشروا منهزمين الى القريتين وقد تتبعهم العامة ٠

وتقهقر قائدهم عائداً الى بلاده فلم يعبر الفرات الا في شرذمة قليلة من هذا الجيش اللجب الذي عبأه لفتح مصروالشام٠

وبات السلطان بالكسوة ثم دخل دمشق وقد فتحت قلبها وتلقته لقاء الابطال بعد ان أزال الهم والغمة عنها ٠

وفي مكان المعركة وبغير غسل ولا كفن، جمع من استشهد من ابطال المعركة، فدفنوا في موضع واحد وبنيت عليهم قبة ارجو ان تكون باقية الى اليوم . و كان الشيخ اول من فرح قلبه لهذا النصر المبين .

سنوات الكفاح من اجل المبدا

مرت ابتداء من سنة ٧٠٥ سنوات كفاح للشيخ من اجل المبدأ يقارع الايام وتقارعه وتغمره موجة من الدسائس فيخرج منها سالماً وتعقد المجالس لامتحان عقيدته فيخرج من هذه المغامرات احيانا الى الحرية وحيناً الى السجن ، وطلب الى مصر فلما ازمع السفر ازدحم الناس لوداعه وفي ابان سفره لم يترك فرصة تمر دون ان يقف واعظاً للناس . ولما وصل القاهرة واجتمع له العلماء واختلف معهم ادخل في احد ابراج القلعة وبقي بها محبوساً وكلما نجحت محاولة لاخراجه من معتقله ابى الا ان يبقى بحيث هو والناس تقصده وترسل اليه المستعصي من الامور لاستفتائه .

الشيخ في الاسكندرية

انتقل ابن تيمية الى الثغر الاسكندري في صفر سنة ٧٠٩ بصحبته امير من الامراء فأدخل دار السلطان وانزل في برج فسيح منها ووصلت اخباره الى دمشق بعد عشرة ايام من سفره من القاهرة المعزية فقلقت الخواطر عليه وتألم انصاره وخافوا سطوة اعدائه الذين ربطوا النية على النيل منه . وكان الشيخ يحضر الجمعات ويقيم الوعظ فيأتي اليه الناس من اهل الاسكندرية افواجاً ينصتون اليه ويقرأوا العلم عليه وقد ازدادوا تعلقاً به ومحبة له وتقرباً منه .

ووصل الى دمشق كتاب من اخيه يقول : « ان الاخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط . فان اعداء الله قصدوا بذلك اموراً يكيدونه بها .. وقد انقلب اهل الثغر اجمعين الى الاخ مقبلين عليه مكرمين له في وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به اعين المؤمنين . ولقد استتاب جماعة منهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من امير وقاض وفقيه . »

ويقول ابن كثير وهو من المراجع التي اعتمدنا عليها مع غيره ان الشيخ اقام بالاسكندرية ثمانية اشهر، وكان سكنه في برج متسع مليح نظيف له شباكان احدهما الى جهة البحر والاخر الى جهة المدينة وكان يدخل عنده من شاء ويتردد عليه الاكابر والاعيان والفقهاء يقرأون عليه ويستفيدون منه وهو في اطيب عيش واشرح صدر .

الشيخ في حضرة الملك الناصر محمد

دارت الايام دورتها وعاد الملك الناصر الى عاصمة ملكه بعد زوال حكم اعدائه وكان ذلك في عيد الفطر المبارك من سنة ٧٠٩ وقد استقبلته في القاهرة وقبل ذلك بدمشق دنيا من الافراح اذ استبشرت العاصمتان بعودة ابن قلاوون الى ملكه وحيته الجماهير وهتفت له ذلك الهتاف المحبوب « يا ناصر يا منصور » . ولم ينس المليك الشاب في افراحه الشيخ المجاهد ابن تيميه فأرسل اليه وحضر الى القلعة معززاً مكرماً مبجلاً وكان قدومه في ١٨ شوال . وقد خرج مع الشيخ خلق عظيم من الثغر الاسكندري يودعونه بالبكاء لتركه مدينتهم ولما دخل على الناصر تلقاه ومشى اليه وأنس به في محفل كبير جمع قضاة مصر والشام فاصلح السلطان بينه وبينهم ونزل الشيخ الى القاهرة وسكن بالقرب من المشهد الحسيني والناس يترددون اليه من الامراء والجند وهو يقول لكل من يعتذر اليه : « انا حللت كل من اذاني . »

وجدد الشيخ سابق عهده بدمشق ولكن بمدينة دمشق المعزية — قلب العروبة — فأخذ يقيم حلقات الدرس وبدأ حياة كفاح وجهاد في سبيل العلم .

هذا هو الشيخ الذي يضم عظامه قبر بسيط بفناء الجامعة السورية، والذي كان يملأ دنيا وحده ، وكانت شخصيته فذة جديرة بالبحث والدرس . اننا في حاجة ان نستلهم الماضي ونستوحي من صفحاته، وابن تيمية رجل من رجال الماضي وشخصيته تطل علينا من وراء القرون.

كان ابن تيمية دمشقياً مائة في المائة، وكان مصرياً مائة في المائة، فهو حلقة الوصل بين البلدين في عصر مضى . واني كلما دققت النظر في تاريخه وتعمقت التأمل في اقواله اجد نفسي ازاء رجل اقف امام ذكراه والاحترام يملأ نفسي .

والان في ارض هذه العاصمة الخالدة ، وفي فناء جامعتها المباركة اقول « هنا يرقد رجل . »

« اسامة »

احبك

احبك فوق ما تسع القلوب وخيَّلَ شاعر ووعى حبيبُ

لأنت من السماء سحابُ عطرٍ يسحّ عليّ منك ندى عجيب

احسك بي فعرقك صار عرقي وما لقذى بعرقينا دبيب

فنحن اذا التقي صدر وصدر لنا فكما التقي كوب وكوب

وان مُزجت بنا خمر وخمر تمازج في الندى نسَم وطيب

ارى ادبي بعينك حين يهوي على فمك الاديب فمي الاديب

بنا نار وليس بنا هشيم وعاصفة، وليس لنا هبوب

الياس ابو شبكة

الثقافة الصحيحة

بقلم رئيف خوري

◆

يتساءل بعضهم : اي ناحية من نواحي الثقافة ، الان، جديرة ان تستغرق اهتمامنا قبل شقيقاتها النواحي الاخرى ؟

ان التفاتة الى العالم تشعرنا بعظيم اهمية الدور الذي نعيش فيه. فأقل ما يقال في هذا الدور انه سيكون عميق الاثر بعيده في مصير البشرية ونحن جزء منها . لقد نصب في هذا الدور ميزان عظيم وضعت في احدى كفتيه قوى وقيم ، ووضعت قبالتها في الكفة الاخرى قوى وقيم ، والكفتان في حركة اخذت مجراها اخذاً عنيفاً .

نقول هذا لا لانه شيء جديد بل لانه مقدمة نخلص منها الى نظرة في الثقافة لا بد لنا منها . فاذا كانت الثقافة حاجة من الحاجات — ولا اخال احداً يجادل في الامر — واذا كان هذا الدور الذي نعيش فيه عظيم الاهمية كما قلنا ، فقد وجب ان ننظر الى ثقافتنا من خلال مقتضيات الدور الذي نعيش فيه ، اذ ما دامت الثقافة حاجة فانها ككل الحاجات تحتم علينا ان نسعى وراء ما يعوزنا وما ينفعنا منها في الظروف الواقعة .

فلنعر التفاتة الى ثقافتنا الحاصلة اليوم . انها من نوع الثقافة الذي ينعت بالادبي . وما اريد ان ازدري الثقافة الادبية ، ولكن لي مأخذ آخذها على بعض نظرتنا الى الادب . فما زال الكثر منا يرون في الادب كلاماً بارع التصوير والتعبير قبل كل شيء . فاما محتوى الكلام الفكري فهو عندهم ليس من الاهمية بمكان . واما مواجهة الادب مشاكل العالم ، واما وقوف موقف من قوى العالم وقيمه المتقابلة في كفتي الميزان العظيم المنصوب اليوم ، فذلك امر لا يشغل الادب في كثير او قليل . ذلك لان الادب من حيث محتواه المعنوي يتعاطى في رأيهم شؤون النفس البشرية . والنفس البشرية الباقية ما بقي البشر هي في رأي هؤلاء واحدة احبت قديماً وكرهت ، وآمنت وشككت ، ورضيت وسخطت ، واملت ويئست . وهي الان تحب وتكره وتؤمن وتشكك وترضى وتسخط وتؤمل وتيأس ، فالادب الباقي هو الذي يحسن تصوير هذه الحالات التي تتقلب عليها النفس البشرية ، وهو الذي يجيد التعبير عنها بالكلام الانيق العذب .

ولنسلم ان هذا صحيح ، ولو ان فيه بعض الصحة فقط . الا يبقى لدينا ان نتساءل عن شؤون النفس البشرية التي يتعاطاها الادب من حيث محتواه المعنوي —اجل، الا يبقى لدينا ان نتساءل اذا احبت النفس البشرية وكرهت وآمنت وشككت : ماذا احبت وماذا كرهت ، وبماذا آمنت وبماذا شككت ؟ أليس من الضروري ان نتعرف الى القيم والقوى التي ارتبطت بها هذه المطلقات العاطفية عند النفس البشرية ؟

قال دعبل الخزاعي :

اني لاغلق عيني . ثم افتحها على كثير، ولكن لا ارى احداً

وفي قوله مرارة من الناس واستهانة بهم ما بعدهما مرارة واستهانة . ولكن فهمنا لبيت دعبل يبقى سطحياً حتى نعرف اي الناس قصد ، ونتبين بعض ميول الرجل . فقد كان دعبل في العصر العباسي محباً للبيت العلوي يرى لهم الحق في الخلافة ويرى عيوباً يعيب بها حكم العباسيين ، ويرجو غضبة يغضبها الناس للحق فيشفوا غله ، فاما لم يفعلوا شفي غله بالناس اذ قذفهم بهذا البيت الشديد الوقع .

وهكذا تبدو لنا مرارة شاعرنا من الناس واستهانته بهم في ضوء جديد . ولولا هذا الضوء لبدت مرارته واستهانته في حكم عاطفة عمياء، وشتيمة رخيصة ، لا في حكم غضبة معذورة وثورة يبررها اعتقاده بان الحق سليب .

ولكن من اين جاءنا هذا الضوء الجديد الذي عمّق فهمنا لبيت دعبل واحساسنا به ؟

جاءنا من التاريخ ! ولقد اسلفنا القول اننا لا نريد ازدراء الثقافة الادبية ، ذلك لان الادب يستطيع ان يلتقط بعدسته صور الحياة ويستوعبها جميعاً . والثقافة الادبية تستطيع ان تكون غنية غنى الحياة نفسها . هذا حين يكون الادب نفيساً والثقافة الادبية واسعة ، وحين تكون النظرة الى الادب صحيحة تقرّ ان الادب لا قيمة له اذا سخف محتواه الفكري والمعنوي ، وتدرك ان المطلقات العاطفية عند النفس البشرية من حب وكره وامل ويأس، انما تتقيد في كل دور بقوى وقيم تكون هي موضوع الحب والكره والامل واليأس . فاذا اهملنا فحص هذه القوى والقيم فاتنا عمق الفهم للادب ودقة الاحساس به . ذلك ، وينبغي التنبه الدائم الى ان الثقافة الادبية عرضة ابداً لخطر هو خطر « الكشكولية » . والمقصود « بالكشكولية » تقميش الاشياء من هنا وهناك وكردسة بعضها فوق بعض دون ما نظام ، ودون ما نظرة شاملة انسانية تنير لنا علائق تلك الاشياء ومواقعها .

كلمة مقتضبة : لا بد للثقافة الادبية ، وللثقافة على الاطلاق ، من التاريخ وضوئه الكشاف .

والحق ان ثقافتنا ضعيفة ، من حيث معرفة التاريخ . ولا يتعدى التاريخ الذي يعرفه اكثرنا ذكر احداث متقطعة وتراجم افراد ، فكأنه « كشكول » طرائف . فاما نقد التاريخ على انه عمر البشرية الطويل وسجل حياتها واختباراتها ، وطريقها المديد الذي يرسم لنا مدارجها بالامس ويكشف عن اتجاهها في الغد ، فنقد التاريخ هذا لايزال بعيداً عن متناول الاكثرية الغالبة .

ومن لابصر له عندما يلتفت الى وراء فلا بصر له عندما ينظر حوله او يتطلع الى الامام .

ولو ان هذا الدور الذي نعيش فيه لم يكن دوراً يحتم علينا صفاء البصر عندما نلتفت الى وراء او ننظر حولنا او نتطلع الى امام لكان بالامكان ان لا نكلف انفسنا عناء الاخذ بنصيب وافر من الثقافة التاريخية الصحيحة . ولكنه دور قد نصب فيه ميزان عظيم كما قلنا ، وضعت في احدى الكفتين من الميزان قوى وقيم تقابلها : قوى وقيم وضعت في الكفة الاخرى . ولن نقدر ان نكون بمعزل عما تسفر عنه هذه الحركة التي اخذت مجراها اخذاً عنيفاً بين كفتي الميزان ، ذلك لاننا نحن موضوعون في الميزان ايضاً .

وبعد فالثقافة التاريخية اقدر معلم ينفذ بنا الى سر الثقافة الصحيحة . والمفهوم بالثقافة الصحيحة — طبعاً — هو غير جمال الزي ، ودقة السلوك في الصالونات ، بل البصر بالامور واهميتها وما يلعب كل منها من دور ، والبصر بطريق سير الامور ، وطريق العمل على اساس من هذا السير .

تعلمنا الثقافة التاريخية الصحيحة درسين عظيمين :

الاول — ان التاريخ يتحرك صاعداً رغم وقفات ظاهرة ، وانتكاسات الى الوراء ، وله قوانين في هذه الحركة . ومما يدعونا الى الغبطة والفخر ان ابن خلدون في مقدمته الخالدة هو الذي قرر هذه الحقيقة التي لايزال يجادل فيها اولو « الميوعة » الفكرية والفلسفية ومن يخشون ان يكون للتاريخ قوانين يسير عليها وان يحق سيره مصالحهم . يقول التاريخ : « الويل لطلاب الوقفة او الرجعة . » لقد ترك مجالا لنيرون الرهيب . ثم حقره تحقيراً حمله على استجداء الموت من احد غلمانه ، اذ كان الطاغية اجبن من ان ينتحر . ولقد ترك التاريخ مجالا لمترنيخ عدو اوربا المستيقظة على افكار الثورة الفرنسية ثم اظهر له التاريخ تفاهة شأنه اذ اضطره الى الهرب من احد شبابيك القصر خوفاً من غضب الجماهير الصاخبة في شوارع فيينا .

اما الدرس الثاني الذي تلقيه الثقافة التاريخية ، فهو ان لا تعتبر القيم والقوى مطلقة ومجردة ، بل بالقياس والمقارنة بعضها الى بعض والى الدور الذي هي فيه ، والى الغرض الذي تستهدفه . واراني ان اجيد التعبير عما اقصده باحسن من تلاوة هذه الحكاية الصغيرة التي رواها مرة السياسي الشهير فنزيلوس ، حين سئل عن اذكى شخص عرفه في حياته ، فقال : انه انطلق يوماً الى بستان اطفال يتفقد فيه التعليم . فسأل صبياً لا يتجاوز الثامنة من عمره : كم اثنان واثنان ؟ ففكر الولد قليلا ثم اجاب : اتسأل عن اثنين واثنين رقم فوق رقم ، ام رقم الى جانب رقم ؟ لان جوابي سيختلف باختلاف وضع الرقمين . فاثنان الى جانب اثنين — اثنان وعشرون . واثنان فوق اثنين — اربعة . قال فنزيلوس : هذا اذكى من عرفت في حياتي .

ان ثقافتنا اليوم ينبغي ان تكون قبل كل شيء ثقافة التاريخ الصحيحة البصيرة بكل ما في ذلك من معنى .

طرطوس — رئيف خوري

عروس الليل

اذا توسّد الظلام ظهر هذا الكفن المتحرك عرّاك الليل
فتفاخرين بعريك ، الاشباح النهمة اليك ،
وتهزئين من جمرة الازل الساطعة

انت ترتمين بين احضان العتمة
تحاولين ان ترتوي من لذة الخفايا
وتدفعين بقدميك الصغيرتين
الى الظلمات العميقة
ثم تتقدمين على غير هدى
وتستسلمين عروساً الى الليل
حتى اذا طلع النهار
اسبل النور أشعته عليكِ
وألبسكِ ثوب الحقيقة
وأعاد اليك ما أفقدكِ الليل
ولكنك جاحدة
تعترفين بالنور عندما تبصرين
فاذا توارت الاشياء عن ناظريكِ
انكرت نفسك الضوء المتغلغل في اعماقها
وتعودين الى الظلمة
ترقصين ، رقصات الفرح
وتسبحين وتهلّلين للعتمة
المتعطشة الى جسدكِ العاري
تستبيحه في سكونها المخيف . . .

سوف يشيخ هذا الجسد
وترتوي منك الدجنة
ونفسك بعد فتية
تطلب الليل
فتأبى الآلهة ان تقيمكِ بين جواري الليل الحسان
حتى لتأبى ان تضمك
الى خدم معبده وهيكله الموحش الرهيب
بعد ان كنت عروساً
تأمرين الاشباح
فتحملك في هودج
صيغ من نسمات الليل
وانفاس الرياحين
وهمسات الشفاه
وخفقات القلوب
وقد القيت برأسك الصغير
على اضلع الليل
بينما اصابعه تداعب شعرك الفحمي
وفمه يتلمس عينيك !

البير اديب

اثينا امس واثينا اليوم

حدثاني عن اثينا ، مدينة الفكر والاناقة ، مدينة الحكمة والمجد ، مدينة عظماء القواد والخطباء والشعراء ، مدينة المرمر والهياكل الفخمة ، وآلهة الذهب والعاج ، مدينة اللغة الجميلة تجري نقية على ألسنة الجميع من ابنائها ، خاصتهم وعامتهم ، حتى على لسان المرضع وبائع البقول .

حدثاني عن اثينا ايام كانت مليكة المتوسط ، قاهرة الفرس وطغاة الاسيويين، وباعثة الحرية من مضيق سلامين ، ايام كانت تعج بالفلاسفة والشعراء والخطباء والمغنين وارباب الفن والابداع ،فتبهر الابصار صور فيدياس المنحوتة وتسحر الاسماع من فوق ملعب باخوس اجمل اصداء الشعر من سوفوكل واوريبيد .

حدثاني عن الحياة في اثينا عندما كان الاثيني السعيد في بلاده ، هو يسن شرائعها ،وهو يقيم قضاتها ،وهو يقضي بالسلم والحرب ملقياً عبء ما تبقى من اعمال الحياة على من يريد من الخول والعبيد ، عندما كان ينهض مع الفجر فيرتدي عباءته وينطلق من داره فلا يعود اليها قبل المساء ، عندما كان يقضي نهاره في النزهة على الشاطىء او في ظلال الشجر في لعب النرد او سماع الخطباء من مغالطين وحكماء فيضحك من اولئك ويصفق لهؤلاء مأخوذاً لكل دعابة ، مستخف الروح لكل مزاح .

حدثاني عن الحياة في اثينا عندما كانت ساحتها العمومية قبلة الانظار يأتلف اليها الناس من كل الطبقات وهم يشعرون انهم احرار في تفكيرهم ،احرار في بيانهم وتعبيرهم ،فيتجاذبون اطراف الحديث ويتناقشون ويتساءلون مراراً في النهار هل من جديد ، حتى اذا حانت الظهيرة ذهبوا الى الحمامات العمومية زرافات ووحدانا فيعطرون اجسامهم ويبدلون ملابسهم ويعودون الى موائد الطعام اندى شبابا وانقى اهابا .

حدثاني عن الحياة في اثينا ايام كانت المرأة الاثينية تخرج الى السوق وعليها غلالة بيضاء مشدودة الى الكتف بازرار ذهبية ، والى الخصر بنطاق واسع ، تتدلى اطرافه المتموجة حتى القدمين ، وفوق الغلالة ثوب قصير البدن والاكمام، كثير الشرائط والالوان، وفوق الثوب عباءة خفيفة .

والاثيني تتنازعه فلسفتان ، فالرواقيون اتباع زنون ، طوال اللحى طوال الشعر يلبسون المسوح والاحذية السميكة ويحملون العصي الغليظة ، والابيقوريون يحملون الطيب في ابدانهم والعصي المنحوتة كالتماثيل في ايديهم ويختالون في ثياب انيقة مفاخرين ببياض اسنانهم وطول شعورهم ، وحول الفريقين عامة الشعب خفيفة روحها ، كثيرة نكاتها ، تضحك من الاثنين لان الاثيني يضحك من كل شيء ولكل شيء .

حدثاني عن اثينا والاثينيين وحياتهم الجميلة في تلك الايام الجميلة ، عندما كانت سماؤها لامعة وميادينها غاصة بفرسان البطولة ،وانديتها زاهرة بالعبقرية والفن ومنابرها تهتز لاصوات السبياد وبركلس،ومجالسها تضيء بابتسامة اسبازي،فخضعت لسلطانها البحار وعنت لشرائعها تيبة ولاسدمون وانتهت اليها كل ثروات الاغريق ، فعمرت بالهياكل والميادين والاعمدة والتماثيل والحمامات العمومية والبنايات الفريدة ، تلقي على الرومان من بعدها وعلى سائر العالم دروساً في سلامة الذوق وحقيقة العظمة .

لقد دال الدهر دولته فأفل نجمها بعد الاشراق وسكن قلبها الخفاق ،وتوالت حضارات اثر حضارات ، وقامت عروش

على انقاض عروش الا انها بقيت من خلال القرون حافظة اثار مجدها القديم قانعة من الحياة بما ابقت لها الايام الى ان حم القضاء وعلق بها لهيب هذا الجحيم المستطير فوجدت نفسها بين عشية وضحاها غارقة في اتون الحرب واصابها في عصر الثقافة والنور ما اودى منها بكل اثر للثقافة والنور . لقد وقفت في وجه المعتدي ودافعت عن حريتها ما امكن الدفاع واظهرت من البسالة ما اعاد الى الاذهان ذكرى ماراثون وسلامين فشخصت اليها ابصار العالم وانحنت الرؤوس اعجابا بهذا الشعب القليل المستبسل النبيل . واليوم بعد ان اعمل النازي فيها الحديد والنار لم يبق الا الحداد ضارباً رواقه في ارضها وسمائها .

لقد اظلمت لياليها ومغانيها ، فلا بدور في الخدور ولا نور في القصور ، ولا جنات ولا طيور . وسكنت جلبة الرائحين والغادين فشلت يد العامل وحطم قلم الكاتب وصمتت قيثارة الراعي وخرست اجراس الكنيسة . الهياكل الاهلة بارواح الاقدمين هجرتها الآلهة ، والتماثيل الحاملة همسات الاجداد تنكرت لبنيها . وطاف الجوع والمرض في حناياها وبسط الموت جناحيه عليها فلا يُسمع سوى انين ولا يُرى غير اشباح ، وكل يوم مئات من الاطفال والشيوخ والعذارى يرتمون على قارعة الطريق بلا حراك ، يموتون ولا يدفنون .

تلك هي اثينا رسمت للقارىء صورتها في الامس البعيد وصورتها اليوم ، فما اعظم الفرق بين غابرها وحاضرها . يقولون ان الحرب تخدم الرقي بما تشحذ من قرائح وتثير من همم وتطلع من اختراع . ولكن ازاء ما تعطي كم تريق من دم وتبعثر من غنى وتدكدك من عمران ؟ فهل كتب للانسان المسكين العالق بالارض ان يظل كاليهودي التائه لا يعرف الراحة ابداً ؟ لقد خرج من ظلمة الكهوف بعد ان امن نفسه من اضطهاد العناصر وعدوان الوحوش الكاسرة ، ولكنه لم يأمن من اخيه الانسان ومن نفسه الامارة بالسوء . فكلما اسعدته حال اقعدته حال وكلما ارتقى ذروة تدنيه من السعادة قذفته الاطماع من حالق فعاد الى الحضيض مخضباً بالنجيع . وكانت ويلات الحرب منحصرة ضمن نطاق محدود اما اليوم بفضل الرقي فالعالم كله كتلة متراصة الاجزاء متصلة العرى والاسباب ، اذا شب الحريق في ناحية منه امتد الى سائر النواحي ، واذا نجا بلد من الحرب بحياده السياسي لم ينج بصلاته الاقتصادية والجغرافية ، فجر عنوة الى الميدان كما جرت اليونان .

على ان الروح الاغريقية لم تمت والشعب اليوناني يلم شعثه خارج بلاده وينضم الى سائر الشعوب التي منيت مثله بالغزو والتشريد ليوالي الحرب تحت لواء الديمقراطية مع الدول الحرة . وهذا مليكه الباسل يطوف الارض في سبيل استرداد ملكه المغصوب وحريته المسلوبة جامعاً شتات قومه من لندن الى مصر الى لبنان الى العالم الجديد .

سلام عليك ايتها الامة المغلوبة على امرها . لقد تعذبت وتغربت وصبرت فلن يطول مع الصبر امد عذابك واغترابك ، وكما خرجت عروسك في غابر الازمان من دماغ جبار الاولمب تحمل لك البرق لينير دجاك ، والنصر المجنح ليرف فوق حماك ، ستخرج من غيب الاقدار عروس الانتصار فتشيد صرحك المهدود وتعيد فردوسك المفقود .

د. ف.

فيكتور هيغو وفرنسا

قال المتآمر للسيف : بدأ الليل بالهبوط ، فانظر الى الزهرة تلمع في المساء . فقال السيف : تريأ ، فقد دنت الساعة . وقال للطريق : سيمرّ الجلاّد من هنا . فقال المتآمر : احسّ قشعريرة باردة . فلنعد . فقال القبر : بل ابقَ ، ابقَ . فقال المتآمر : من انت؟ فاجاب القبر : أنا القبر ، فنفّذ الحكم بالموت او مت . وقالت سفينة في الشفق : وانا القبر ايضاً ، أحملُ المطرودين الى المنفى . وقال السيف : لننتظر الجلاّد . فقال المتآمر : احسّ رعشة باردة . ما هذه الريح ! فقالت الريح : اني ازرع في الاجواء صراخ المنفيين المحتضرين ، يموتون بلا مأوى ولا صديق ولا قريب . فقال صوت في الريح : انهضي يا ربة الانتقام . فقال السيف : لقد دنت الساعة ، فلنستفد من هبوط الظلام . وقالت الارض : احشائي ملأى أمواتاً . وقال البحر : لقد صبغت الدماء أمواجي ، فالأنهر تحمل اليّ جثثاً لا يحصى لها عدد . وقال السيف للمتآمر : لا تطعنه في قلبه فقلبه فارغ . وقال القانون : كنت القانون ، فقتلني فصرت شبحاً . وقالت العدالة : كنت كاهنة فصيّرني عاهرة . وقالت الحرية : لقد هربت الطيور فهربت معها .

وقال القَسَم : سكّروا الافواه ، فقد ماتت الثقة في القلوب! أيها الانسان ، انت كاذب . ايتها الشمس ، ايتها السموات ، كلك تكذبين ، فهي ياارياح الليل ، واحملي الشرف والفضيلة فكلاهما اوهام .

وقال الوطن : انا في الحديد ، يا بني ! انا امك ابسط اليك ذراعيّ من اعماق سجني . فقال المتآمر : أأضربه في الليل ، امام هذه السماء السوداء ، وهذه البحار الحالكة ؟ فقال الضمير : اضرب ولا تخف . اضربه وكن هادىء مطمئن النفس !.

لمن هذه الصرخة الرائعة ؟ لفيكتور هيغو ، وكأنه يصرخها اليوم في اعماق النفوس . واحب ان استعير اليوم « عقوبات » هذا الشاعر ، فقضية فيكتور هيغو في ذلك العصر هي قضية العالم اليوم ، وفي صرخاته عزاء للصابرين .

كنت لأسابيع خلت اتصفح « العقوبات » Les Châtiments فوقعت في هذه المجموعة الشعرية ، او في هذه الملحمة على الاصح ، على قصائد لو نشرت اليوم بدون توقيع لما بقي فضل للشك في انها لشاعر معاصر . فنقلت بعضها الى العربية — مستعيناً بروح الشاعر على تأدية افكاره الشعرية في قوالب النثر — وفيما انا اقلّب مجموعة فيكتور هيغو كان احد عشاقه من ابناء امه يقوم بالمهمة نفسها ، اذ وقعت في جزء تشرين الثاني من مجلة « France Orient » التي تصدر في الهند على سبع من قصائد « العقوبات » كنت نقلتها في ما نقلته من هذه الملحمة التي تُدرَج بحق في عداد اصدق روائع الشعر .

وقبل ان اذكر بضعة من المقاطع الخالدة التي دمغ بها الشاعر الجلاّدين والطغاة ، وهم في كل عصر ، اجد بعض الفائدة في الالماع الى ان هيغو حارب الطغيان والخبث ، والنميمة والحقد ، والاستعباد والذل ، وجور القويّ على الضعيف ، وخنوع الموتور للواتر ، وناصر الحرية والكرامة ، وبثّ روح التساهل والحب ، وعلّم الكبر والثقة بالنفس .

قال : « ان آباءنا هم جنود نابليون واجدادنا ابناء غاليا . فاعلموا اننا اسياد ولا تنسوا ذلك ، وان الحرية لم تخاطبنا يوماً بدون جدوى . وتذكروا ايضاً ان ايدينا هذه التي سحقت الملوك تستطيع ان تسحق المتبجحين » .

وقال : « وبما اننا اسرى في ايديكم ندعكم تفعلون ما تشاؤون فالانسان لا يستطيع تعجيل الساعة التي يؤخرها الله . ان جيوبكم ايها اللصوص لتتسع لكل ما في البلاد من الذهب . انها تتسع لما يجبى من الفقراء ، للميزانية ولجميع ملايينا ، ولكنها لن تتسع لحقوقنا وشرفنا . فمن جهة شعب بكامله ومن جهة اخرى عصابة لصوص ، وما قيمة المدى الحيوي اذا قيس بحقوق البشر؟ لقد كنا شعباً حراً وسنعود غداً احراراً » .

وقال : « لا تدعوا الشك يخالج قلوبكم بل آمنوا . فالنصر في النهاية ، فلننتظر ! ان الله يعرف كيف يسحق اضراس نيرون كما يسحق اضراس الوحش . ان الله يجربنا ايها الاصدقاء ، فلنتسلح بالايمان ، وليكن ضميرنا مطمئناً . ولنمش على النار ، فالله ينمي النخيل في رمال الصحراء الحارة !.

وقال : « ماذا تريد فرنسا ؟ انها تريد ان يتألّق الحب بعد اليوم على قممها وهضابها . انها تريد شريعة المسيح المقدسة ، الاخاء النقي . وهذه الكلمة العظمى مكتوبة على مدى صفحة الطبيعة : احبوا بعضكم بعضاً . كونوا اخوة . لأن نكون منتصرين فهذا شيء قليل ، اما ان نبقى كباراً فهذا كل شيء ! » . واخيراً هذا المقطع المشبّع بروح النبوءة : « ارى نقطة تلمع في اعماق السماء ، فانظروا اليها . انها تكبر وتبرق ، وتقترب حمراء قرمزية . ايتها الحرية ، ايها السلام الكوني ، ما تزالين شرارة وغداً تصيرين الشمس » .

ا . ا . ش .

رائد من فكتور هيغو

مكتبة الاديب

قوة النظام السوفياتي

عنوان لمحاضرة بليغة ألقاها الاستاذ خالد بكداش بمناسبة مرور سنة على الحرب السوفياتية الالمانية وعقد المعاهدة السوفياتية البريطانية ·

وقد صدرت هذه المحاضرة في كتيب يطاب من المؤلف الفاضل — صندوق البريد ٦٣٣ — بيروت — وفي هذه المحاضرة اوضح الكاتب الخطيب جميع المسائل المتعلقة بالنظام السوفياتي من الوجهتين الاقتصادية والسياسية ، وأورد لمحة عن حياة العمال والمثقفين والفلاحين ، وتناول حياة العائلة الروسية والدين في الاتحاد السوفياتي ، وبحث في مسألة الجبهة الثانية وموقف الشعب الفرنسي من الثورة الاوربية ، ومصير العالم بعد الحرب ومستقبل العرب ، والحركة الديموقراطية العربية وواجب الديموقراطيين في سوريا ولبنان · فجاءت محاضرته كأخواتها السابقات آية في العلم والاخلاص والوفاء لقضية يخدمها الاستاذ بكداش واعوانه بمنتهى التضحية والحب ·

فظائع الهتلريين في الاراضي المحتلة

اصدرت مجلة « الطريق » الزاهرة هذه النشرة المشتملة على نصّ المذكرة التي ارسلها الرفيق مولوتوف الى ممثلي الدول ذات العلاقات الديبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي · وهي تحتوي على الفظائع التي ارتكبها الهتلريون في البلدان المحتلة كتدمير القرى ، وطرد السكان من منازلهم ، واعمال النهب ، وتعذيب المرضى من السكان ، ومحاولة جرمنة الاهالي ، وانتهاك اعراض النساء ، والمجازر وما شاكل ذلك من الجرائم التي اقترفها النازيون ويقترفونها في كل بلد تطأه اقدامهم ·

الاب جبرائيل الشمالي

اصدر الاب المفضال بطرس فهد ، امين السر العام للرهبانية الحلبية نبذة وافية اتى فيها على فضائل الاب جبرائيل الشمالي العشقوتي الذي توفي لثلاث سنوات خلت بعد ان تولى رئاسة الرهبانية الحلبية العامة زهاء عشرين سنة ملأها بجلائل الاعمال · وقد احتوى كتاب « الذكرى » هذا على جميع مآثر الفقيد الكبير ابي النهضة العملية في الرهبانية ونافخ روح الثقافة الفكرية العالية فيها ، صديق امراء الكنيسة الاعاظم ورفيق ارباب السياسة والوجاهة والحكم » ·

وقد اشتهر رئيس الرهبانية الحلبية ببسطة في اليد ، وكرم في الخلق ، وتمسك بالتقاليد الموروثة عن اكارم الجدود ، وبعطف صحيح على الفقير ، واليتيم ، تعيد في الايام السود الى الذاكرة قول الشاعر : « وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر » · اما الكتاب فموضوع بلغة صحيحة وبيان جميل ومكتوب بروح ينم على ما يكنه صاحبه من الوفاء للجميل ·

دار الكتب الوطنية والجامعية في القدس الشريف

في التاسع والعشرين من تموز الفائت احتفلت دار الكتب الوطنية والجامعية في القدس الشريف ببلوغها الخمسين من عمرها · وهذه المكتبة تحتوي على اعظم مجموعة من الكتب العبرية في العالم (٥٥ الف مجلد) وعلى مجموعة هامة من الكتب الشرقية (٣٥ الف مجلد) ·

وهذه الكتب على جانب عظيم من الاهمية لانها تكاد تشتمل على جميع المؤلفات الاساسية في الفكر الاسلامي ، والفلسفة الاسلامية ، واللغة العربية ، والادب العربي ، وما الى ذلك من المواضيع · ولا تقتصر دار الكتب على تأدية مهمتها كمكتبة جامعية فحسب بل تتجاوزها بحيث تؤدي مهمتها ، كمكتبة وطنية ايضاً ·

وصفوة القول ان القسم الشرقي في دار الكتب الوطنية والجامعية ، مركز هام من المراكز الثقافية التي تبحث عن الشرق ، وعلومه ، وآدابه ، وكل ما يتعلق به ·

الصباح

اصدرت جريدة « الصباح » الغراء التي تصدر في دمشق عدداً خاصاً عالج فيه كتابه مسائل المرأة · وقد ساهم في هذا الجزء الممتاز طائفة كبيرة من ممثلي الثقافة في البلد السوري العزيز · وقد يكون هذا الجزء ضرب الرقم القياسي ! في اسماء الاديبات اللواتي اشتركن في تحريره كالسيدات والاوانس عفيفة صعب ، وداد سكاكيني ، نعيمة المغربي ، مديحة البرازي ، ماري عجمي ، اميلي

فارس ، نزهة طلس ، منيرة علي المحايري ، عادلة بيهم ، بشرى قدسي ، مقبولة الشلق ، فاطمه سقطي ، اما الادباء فمن متخير ما انجبت التربة السورية الطيبة .

« فالاديب » توجه اخلص تحياتها الى « الصباح » راجية لها اطراد النجاح في حقل الادب والجهاد .

الجبل

جاءنا الجزء الاول من جريدة « الجبل لمنشئها الصحفي الفاضل الاستاذ نجيب حرب فاذا هو صورة صادقة عما يكنه الجبل الدرزي الاشم من الوفاء للقضية الوطنية والقضية الديموقراطية على اطلاقها . وقد اشتمل هذا الجزء على طائفة من الفصول الادبية والسياسية والاجتماعية مدبجة باقلام نزيهة ومحلاة بصور ابطال حركة الحرية في هذا العصر . فنرجو للزميلة العزيزة النجاح الذي تستحقه جهود منشئها الفاضل .

لا هوادة

لا مشاحة ان افضل الآراء المكتوبة هي التي تصدر عن دماغ رايق وبال مطمئن . وكلاهما نتيجة طبيعية لعلوّ اخلاق الكاتب ونبل طباعه . لان من يتحلى بهذه الاخلاق والطباع يكون مفطوراً على الصدق في رأيه ، وفي فعله ، لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا يحابي في الصواب احداً .

هذه التخيلات هي ما يستنتج القارئ من تصفحه لكتاب « لا هواده » الذي اصدرته مجلة « الاديب » الزاهرة مدبجاً بقلم الاديب الكبير الاستاذ عمر فاخوري . وهو مجموعة فصول طريفة متنوعة الموضوعات وعت من الحكمة العالية ضروبا ، ومن الادب الرفيع اشكالا والواناً . فصول شائقة لا هي بالطويلة المملة ، ولا بالقصيرة المخلة . يطالعها المرء بارتياح الى عبارتها الطلية الديباجة ، اللطيفة الاسلوب ، الجيدة السبك ، فيجد فيها عصارة رايقة لدماغ ناضج ، وانجاناً شهية منمقة ، بآراء سديدة محكمة صادرة عن عقل متزن رصين . وكل ذلك ينم على تبحر واسع ودرس عميق ومطالعة مستفيضة . وهذا شأن الاستاذ عمر فاخوري في كل كتاباته التي كان ميل الناس اليها ، واقبالهم عليها اجلى بيان عن رقيّهم العام ، واوضح دليل على ارتفاع المستوى الادبيّ في هذه الديار .

امين الغريب

المفكرة الريفية

صدر كتاب « المفكرة الريفية » للاستاذ امين بك نخله وقد سبق لنا كلمة في هذا المؤلف الفريد نشرناها في جزء الشهر المنصرم كما يعلم القراء الكرام .

والكتاب انيق الطبع والتنسيق جيد الورق حسن الحجم وهو يباع في جميع المكاتب بسعر مئة وخمسين قرشاً لبنانياً سورياً .

دليل الاصطياف والاشتاء في لبنان وسوريا

اصدر السيد اسكندر يارد هذا الدليل الحادي والعشرين في نحو من مئة وخمسين صفحة مزدانة بالرسوم ، فجاء دليلاً ناصعاً على ما يبذله هذا الوطني المخلص من الجهود في سبيل الغاية الكريمة التي درت بالفائدة العظمى على اجمل موسم في هذا البلد . ومما لا نزاع فيه ان السيد اسكندر يارد ما برح منذ نيف وعشرين سنة يؤدي اجل الخدم الى هذه البقع التي احبها حباً مجرداً وأفنى لاجلها ايامه ولياليه وماله . وعزاؤه الوحيد في ما سلخ من الجهود لاجل مهمته تلك العناية التي لقيها من السلطتين الوطنية والفرنسية امس والوطنية والفرنسية والحليفة اليوم . فالاديب توجه اجمل الثناء والشكر الى السيد اسكندر يارد سائلة الله ان يكافئه المكافأة التي يستحقها جهده وتجرده في خدمة بلاده .

اخبار رجال الادب

ورد الى مجلة « الاديب » من عدد كبير من قرائها رسائل يطلبون فيها نشر فصول عن اخبار رجال الادب الاحياء . وبديهي ان « مكتبة الاديب » تحتاج الى هذه البحوث والاخبار الطريفة عن حياة الادباء ورجال الفكر سواء في بلادنا او في البلاد الاخرى . لذلك سنسعى جهدنا لتتبع الحركة الادبية القائمة هنا وفي الخارج وادراج نبذات وافية عن سير الادباء ومشاغلهم في هذه الايام السوداء .

ولا نزاع في ان جمهوراً كبيراً من رجال القلم يجدون في مشاغل الحياة فرصاً سانحة للانصراف الى ما تهيأوا له ، كما ان هناك آثاراً ادبية لم يقدر لها كفيل من النشر فهي مطوية في ادراج الكتاب الى ان يحين موعدها وسنسعى لاذاعة اخبارها والتحدث عن مصادرها في فصول نعهد بكتابتها الى طائفة من متخير النقاد والبحاثين في شؤون الادب والعلم .

وسيرى القراء في هذه الفصول التي سنبدأ بنشرها منذ الجزء المقبل من « الاديب » ما يلذّ لهم ويرفه عن انفسهم من سير الادباء في حياتهم الخاصة والعامة . فالى الاجزاء المقبلة .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

١ آب — هاجمت الطائرات البريطانية مدينة ساربروك والقت عليها ١٥٠ قنبلة وزن الواحدة منها طنان ، ومئات الالوف من القنابل المتفجرة والمحرقة . — وصل الى لندن مسيو اندره فيليب الذي عين مفوضاً وطنياً ، للشؤون الداخلية في الجمعية الوطنية لفرنسا المحاربة .

٢ آب — احتفل الملك هاكون النروجي بذكرى مرور ٧٠ سنة على مولده وقد وجه اليه كل من ملك انكلترا والرئيس روزفلت برقية تهنئة . — اعتمد فرع اتحاد العمال الهولندي في بنغال عزية يعارض فيها كل حركة ترمي الى العصيان المدني . — ذكرت جريدة « واشنطون بوست » اسم ده غول في رأس قائمة المرشحين لتولي القيادة العليا لجيوش الامم المتحدة . — انتحر السيد علي حيدر اكتاي ، سفير تركيا السابق في روسيا ، وهو في الخامسة والخمسين من عمره . وكان يهم بالذهاب الى سويسرا للاستشفاء .

٣ آب — وردت من جنيف الى وكالة « تاس » الروسية برقية تفيد ان جيوش الجنرال ميكائيلوفتش احتلت مدينة دوبرلين في بوسنيا بكل ما فيها من مناجم الفحم ، والمصانع ، وقتلت اكثر من ثلاثة آلاف ضابط ورجل محوري خلال المعارك التي اسفرت عن احتلال هذه المدينة . — وردت من الجبهة الروسية برقية تفيد ان الجنرال الالماني فون بوك طرح قوات جديدة من الاحتياطي في معركة الدون وان الروس يقاومون الهجمات الجديدة ببطولة فائقة الوصف .

٤ آب — دخلت ملكة انكلترا في العام الثاني والاربعين من عمرها . — أقسمت السيدة ميلفردمك كافي ، اول امرأة ضابطة في البحرية الاميركانية ، يمين الاخلاص امام الكولونيل نوكس . وستتولى قيادة جيش نسائي يشتمل على الف ضابط وعشرة آلاف متطوع . — استرجعت الجيوش الصينية مدينة تسنكيانغ — تألفت الوزارة الايرانية الجديدة برئاسة السيد سلطاني . — حصل هيجان شعبي في باريس .

٥ آب — وجهت جريدة « برافدا » الى الجيش الروسي النداء التالي : « اذا قاومنا الهجمات الالمانية اشهراً اخرى نحرز النصر . واننا لنستطيع هذه المقاومة . اوقفوا العدو واطردوه » . — اعتقل الضابط الالماني القديم فرتز فون كن لمحاولته ان يبيع في الولايات المتحدة جواهر نهبها من هولندا وبلجيكا . وقد وجد معه اربعمئة الف دولار .

٦ آب — تفاقم موقف الجيش الروسي في الثاني والاربعين ساعة المنصرمة . — اعتمدت لجنة الدرس في المؤتمر الهندي عزية توضح فيها انه اذا اعطيت الحرية للبلاد تعقد الهند في الحال محالفة مع الامم المتحدة . — صرح السيد سراج اوغاو رئيس الحكومة التركية ، امام المجلس الوطني الكبير بقوله : « اننا نبذل جهوداً رشيدة للبقاء في معزل عن الحرب . ولكن اذا هوجم استقلالنا يوماً فسنحارب الى آخر رجل . »

٧ آب — دارت رحى معركة دبابات طاحنة لاجل الاستيلاء على سكة حديد كوتلنيكوفو الواقعة على بعد مئة ميل جنوبي غربي ستالينغراد حيث يحاول فون بول القيام بحركة كلابة شطر مدينة ستالينغراد . — شنت قوات اميركانية من اسطول الباسيفيكي عمليات هجومية على جزر سليمان .

٨ آب — اعلنت جريدة « النجم الاحمر » ان الالمان تمكنوا من شق جيب في تحصينات الروس بكوتلنيكوفو . وان القوزاك استرجعوا محلة هامة في قطاعات كوتشفسكايا . — واعلن راديو موسكو ان معركة على جانب عظيم من الشدة تستمر في عقدة الدون . — رفض السيد جنه ، رئيس العصبة الاسلامية في الهند ، باسم المسلمين مطالب المؤتمر الرامية الى تأليف حكومة وطنية في الحال . — وصل الجنرال دي غول الى القاهرة وسيتفقد القوات الفرنسية في الشرق . — صرح غاندي في خطاب لفظه امام اعضاء الجمعية التنفيذية الهندية بقوله : « لا اريد ان تغزو اليابان بلادي والا اكون السبب في انكسار الصينيين والسوفيات . »

٩ آب — استقبل الجنرال دي غول الجالية الفرنسية في مركز مندوبية فرنسا المحاربة بالقاهرة . وكان محاطاً بالجنرال كاترو الذي جاء من بيروت وبالجنرال كنيغ . — رفضت حكومة الهند مفاوضة المؤتمر على اسس اقيمت لزج الهند في الفوضى وشل جهدها الحربي . — اعتقل غاندي وازاد ونهرو وباتل والسيدة نايدو .

١٠ آب — حث السيد جنه ، رئيس العصبة الاسلامية ،

اشياعه على التزام موقف الحياد من حركة لجنة المؤتمر ، وطلب من الشعب الهندي وقف هذه الحركة التي تضر بالهند . — اعتقلت زوجة غاندي .

١١ آب ـ تواصل القوات السوفياتية صد الهجمات العدوة على الضفة الغربية من الدون في جنوبي فورونيج — صرع ٢٧ شخصاً خلال الاضطرابات التي حصلت امس في بومباي — اعتقل السيد سنه ، رئيس المؤتمر الهندي السابق — نزلت قوات اميركانية غفيرة في جزر سليمان — وصل الجنرال دي غول بيروت فاستقبل استقبالا حافلا .

١٢ آب — المعارك الطاحنة مستمرة في جزر سليمان . — عقدت معاهدة تحالف بين مملكة آل سعود والكويت . — وصلت ملكة هولندا الى عاصمة كندا . — غادر الجنرال دي غول مدينة بيروت ليتفقد القوات الفرنسية في مختلف المناطق اللبنانية . — ضرب الاسطول البريطاني جزيرة رودس .

١٣ آب — اذاع راديو باريس انه اكتشفت في وهران بالجزائر مؤامرة ضد حكومة فيشي وانه اعتقل اربعون شخصاً .

١٤ آب — اعتقلت شقيقة بانديت نهرو في الهند . — الاميركان يعززون المراكز التي احتلوها في جزر سليمان . — الدفعة الالمانية صوب ستالينغراد تزداد شدة .

١٥ آب — جاء في التقارير الرسمية الاولى انه قتل ٤٠ شخصاً وجرح ٥٥ في دلهي القديمة خلال الاربعة الايام الاخيرة . — هاجمت اسراب من طائرات القذف الحليفة مواقع الجثوم في الضبعة بالارض المصرية . — وفاة سكرتير غاندي في السجن .

١٦ آب — اعلن راديو موسكو ان الجيوش السوفياتية تشن هجمات عنيفة في منطقة كوتيلنيكوفو وان معارك طاحنة تدور رحاها هناك . — غادر السيد جان هيللو ، سفير فرنسا في انقره وزوجته والسيدة جورج بالاي ، سكرتير السفارة الاول في انقره ، استنبول الى بيروت ليضعوا انفسهم تحت تصرف الجنرال دي غول وفرنسا المحاربة . قلد فخامة رئيس الجمهورية السورية الوشاح الاكبر من وسام امية لفخامة الجنرال دي غول .

١٧ آب — الحالة تتحسن في الهند .

١٨ آب — القوات الالمانية تخترق المواقع السوفياتية في عقدة الدون بعد جهود شاقة ، استغرقت عدة ايام . — الروس يصدون الهجمات الالمانية امام ستالينغراد . — هاجمت قوات الحلفاء مرفأ دييب في فرنسا ودارت في الاراضي الفرنسية معارك طاحنة استمرت ٩ ساعات .

١٩ آب — تظاهرت الجماهير في شوارع ريو جانيرو ضد المحور بسبب نسفه سفناً برازيلية . — اعلنت وزارة الحربية البريطانية ان الجنرال الكسندر عين مكان الجنرال اوكنلك كقائد اعلى لجيوش الشرق الاوسط . — صرف مستر تشرشل الذي عاد من موسكو نهاراً مع القوات في منطقة العلمين وتحدث في القاهرة الى الملك فاروق والنحاس باشا . — الصحف البريطانية تخصص فصولا مطولة للمباحثات التي دارت بين ستالين وتشرشل في موسكو . وصلت قوات جوية اميركانية غفيرة الى الشرق الاوسط . — زار الجنرال وايفل منطقة العلمين . — اعتقل نجل غاندي .

٢٠ آب — هاجم الطيران السوفياتي دانتزيغ وكنيكسبرغ وتليست محدثاً اضراراً بالغة . — المظاهرات الشعبية ضد المحور تستمر في اهم مدن البرازيل . — استرجعت القوات الصينية مدينة وينشو ولكنها خسرت مدينة فويشيانغ جنوبي غربي شيكيانغ . ثبت اليوم ان مالطة كلفت المحور ثمانمئة طائرة منذ شهر حزيران . الضغط المحوري يزداد على ستالينغراد . حصل اضطرابات جديدة في مدراس بالهند .

٢١ آب — صرح مستر وندل ويلكي بانه سيزور قريباً روسيا والشرق الادنى معهوداً اليه بمهمة خاصة من قبل حكومة الولايات المتحدة . — تأجل ختام الدورة البرلمانية في انقرة بداعي الظروف الحاضرة . — غادر عصمت انونو ، رئيس الجمهورية التركية ، انقره الى الاناضول للقيام بجولة تفتيشية . — القيادة الالمانية العليا تعترف بان الجيوش الروسية تهاجم في منطقة فيازما وفي جبهة رجيف وفي منطقة لينغراد . — احتفلت جميع المدن السورية احتفالا شائقاً بزيارة الجنرال دي غول .

٢٢ ـ الحالة تستتب في الهند . ـ مراسل « التايمس » في واشنطون يقول ان حالة الحرب قائمة حالياً بين البرازيل والمحور . — صرح نوري باشا السعيد رئيس الحكومة العراقية ، بان العراقيين سيقاتلون المحور عند الحاجة .

٢٣ آب ـ البرازيل تعلن الحرب على دول المحور .

٢٤ آب ـ معركة ستالينغراد تصل الى مرحلتها الحاسمة . ـ الرئيس تشرشل يزور القاهرة للمرة الثانية عائداً من روسيا .

٢٥ آب ـ اعلنت وزارة البحرية الاميركانية ان معركة بحرية جوية كبرى تدور رحاها في عرض جزر سليمان . ـ قتل الدوق اوف كنت ، شقيق ملك انكلترا ، بحادث طيارة .